بركـــان الصمت

تاليــــف

عبــداللــه عطيــه الســلايمه



كلمة لابد منها

لقد حملنا رسالة في أعناقنا ، ودين لابد من الوفاء به لـــــهذا المجتمع البدوي السيناوى ، وبدورى كأحد أبنائه المثقفيـــن ، قد حملنا ضمائر أهلنا في أيدينا ، ودماءهم في قلوبنا ، رأيت من الواجب علىّ أن أخط هذه الرواية والتي جاءت أحداثـــها وأشخاصها من صميم واقع المجتمع البدوي السيناوى ، كمـــا عاصرته ، وقد وضعت يدى على بعض الشوائب العالقة فـــي كيانه في جانبه الاجتماعي ، وقصدي من وراء ذلك الوفـــاء ببعض الدين له ، وقد ترعرعت في ربوعه في محاولة أمينة لخلق جيل أكثر وعيا، وأنضج فكرا ، للتخلى عن كل ما يهدد كيان مجتمعنا ، ويتنافى مع ديننا الحنيف .

كما حاولت أن أسجل في الجانب الآخر (الوطنـــــي) بـــهذه الرواية بعض من أدوار البطولة التي قام بها بعض أبناء هذا المجتمع العريق ضد الاحتلال الإسرائيلي إيمانا منهم بالدفـاع عن مصريتهم وهويتهم ، وقد كنت شاهد عيان على بعضها وقد بذلت جهدا لتغيير أسماء أماكن وأشخاص هذه الرواية .. فإذا كان هناك تشابها في أسماء الأفراد أو القبـــائل – التـــي أجهلها – فقد جاء بمحض الصدفة وليس مقصودا ..

والله الهادى لسواء السبيل ،،،

عبد الله عطية السلايمة

شوال ١٤١٩هـــ / فبراير ١٩٩٩م .

الإهــداء

** إلى والدي ..
الذي افترش الشــوك لأنعــم .

**إلى شعــب باديــة سينــاء الكريــم .

أخذ صابر يتقلب في فراشه يمنة ويسره ، أفكار وهواجس تكاد تفجر رأسه، سؤالات تحجب عينيه عن بصيص أمل يلوح من بين ثنايا عباءة الليل التي تسد عليه أبواب الأجوبة. ليس لديه خيار، فقد ضاقت به الدنيا وأغلقت كل سبل العيش في وجهه.. لعنه الله على من كان السبب ، فقد كان يدبر أموره وأمور معيشته وقد استطاع دائماً من خلال معرفته بأسرار الصحراء أن يحصل على قوته ولكن الأمر قد اختلف الآن.

أخذ يتأمل في وجه طفله الصغير الذي لم يتعد الثالثة.. إنه يشبهه .. هل جفت ينابيع الرحمه بداخله،لمن سيتركه من سيرعاه من بعده ، فهو لا يعرف نتيجة ما ينوي فعله .

أشاح بيده أمام عينيه وكأنه يطرد هذه الأفكار السوداء التي خالها ولكن هذا الهاجس عاوده بجرأة..أخذ يتأمل في وجه صغيره ملياً وكأنه أحس باقتراب النهاية.

هل تستطيع أمه مجابهه هذه الظروف الصعبة..؟ نظر إلى زوجته .. هل هذا جزاؤها بعد ماكابدته من أجله..؟ أخذ يتمعن في قسمات وجهها وكأنه يراه لأول مره .. تمام كما هي لم تتغير ، كما شاهدها لأول مرة وهي جالسة على أحد رُبا الصحراء تغني تارة بصوتها الشجي الذي أسر قلبه من أول وهلة وتارة تطرب سمعه بتلك الأنغام التي تنساب في فضاء الصحراء من شبّابتها والتي تعطربها هذا الفضاء المحبب إلى قلبها وهي جالسه بين قطيع أغنامها الهاجع بعضه حولها منتشياً بتلك الأنغام.

نعم يتذكر .. كيف اقترب منها وكيف اختلس النظر إليها دون تحس به وهي تاركة لصوتها الشجي وشبّابتها الحزينة كعينيها العنان، لم تراه بعينيها ولكنه رآها بقلبه.. اقترب منها

.. تنحنح، وكأنه يعلن عن قدومه.. إلتفتت.. هبــــت فزعــة تبحث عن طرحتها لكى تستر رأسها عن هذا الغريب الـــذى قطع عليها خلوتها، إقترب منـــها ،حياهـــا.. ردت تحيتـــه.. نظرت إليه في غرابة ثم قالت فى جرأة:
ما هو عيب اللى أنت سويته هذا..؟
قال وهو يصطنع الدهشة: وايش اللي أنا سويته يامستوره.
ردت : ليش ما نبهت وأنت بعيد..؟
رد قائلاً : أنا نبهت يا بنت الناس بس أنت اللــــي مـــاخذتى بالك، نظرت إليه في خبث .. أشاحت بعصاها لأحد الأغنـــام التي ترعى بالقرب منها وكأنها تحرسها فى هــــذا الفضـــاء الفسيح من هذا الغريب.. عاودت النظر إليـــه بعيـــن بينمـــا الأخرى تغطيها الطرحة.
هذه السُمره التى تكسو وجهه خلبت قلبها ، استولت عليه، لـــم تستطع أطاله النظر إلى عينيه السوداوين وطولـــــه الفـــارع وجسده النحيل، أفاقت من شرودها، فاجأته قائلـــة: خـــير إن شالله، ايش اتريد..؟
قال: أريد أتكلم معاكى اشويه، ثم أضاف وهو ينظر إليها في خبث: ولا ماودك أحد إيسلى وحدتك..؟!
ترددت .. لو كان بيدها لبقيت معه العمر كله، لكن ماذا تفعل لو رآها أحد من أقاربها أو حتى من أبناء عشـــيرتها وهـــى تتحدث مع هذا الغريب، أحست برعشة غريبة وهى تتخيـــل ذلك.. تخيلت أحداً منهم أطـــل عليـــها .. لاتعـــرف مـــاذا سيحدث.. ربما نشبت معركة بين الرجلين لاتحمد عقباهـــا .. وقد يعود مسرعاً لكى يخبر والدها عن فعلت ابنته الشـــنعاء التى جلبت له العار ، ومن ثم لاتعرف بعد ذلك مـــا ســـوف يحدث لها ، ومن ابسط أنواع العقاب أن تُجبر على الـــزواج

من أحد أبناء عمومتها أو أحد أبناء العشيرة ، ولاخيار لـــها في ذلك ، فطالما البنت كبرت وعشقت فالأفضل أن تـــتزوج قبل جلب العار لعائلتها وعشيرتها ، تمنت بداخلها أن يكـــون هذا الواقف أمامها من أبناء عشيرتها ، لو كان كذلك ربمـــا كان هناك أملاً في أن تتزوجه في يوم ما.ولكن جرحاً شــــج قلبها حين أخبرها بأنه من قبيلة أخرى، مما يعني أنـــه مـــن ضروب المستحيل أن تكون زوجة له في يوم من الأيـــام.. فهذه عاده البادية التي تعرفها جيداً.

أفاقت على صوته: عـــلامك يامستوره..

وبصوت حزين كعينيها أجابت: يا رجال الله يرضى عليـــك إمشي قبل ماحد إيشوفك.

ولأنه يعرف عادات البادية لم يرد أن يثقل عليـــها، واكتفـــى بأن يعرف اسمها.

ترددت في إبلاغه به .. أصر أن يعرفه.. أحست بشيء خفي يدفعها لتعريفه بإسمها ، ماذا سيحدث لو عرف..

هـــه.. قوليلي ايش اسمك ، وأنا أمشي علطول.

قالت: ايش ودك باسمي

قال: أريد أعرفه يا بنت الناس

قالت : ليـــش..؟

قال: أقول ليكي وماتزعلي

قالت بلهفة: قُـــل

قال في حياء: لأنك عجبتيني

قالت وقد كساها حياء البادية: سلمـــــى

وطال الحديث بينهما .. عرف عنها كل مـــاأراد ، قبيلتـــها، عائلتها ،أماكن رعيها ،انصرف بينما كانت الشمس توشـــك على المغيب.

استمرت اللقاءات بينهما مايزيد علىعام ،حتى كان يوم قـال لها: وبعدين ياسلمى ؛ ايش أخر حبنا هذا
ارتبكت وقد أفقدها الحياء الإجابة
قالت وهى تنظر الى اصابعها التى ترسم دوائر متشابكه فـي الأرض: والله مانا عارفه ياصابر
قال صابر وهو يتنهد: اريد اخطبك من أهلك ياسلمى..
نظرت اليه فى هلع تحول الى حزن وهى تقـول: تخطبنـي كيف ياصابر، وانت عارف رد أهلى..!
صابر: مايهمنى ايش ايكون رد اهلك اللى ايهمنى هو رايـك انت.
سلمى باستغراب: رايى فى ايش يعنى..؟!
صابر: ان اهلك ماوافقوا على جوازنا تشردى امعى..
سلمى هلعة: ايش اللى بتقوله هذا ..
صابر وكأنه يتوسلها ان توافقه:اللىسمعتيه يابنت النـاس ، ومافيه حل غير كذى، ثم أضاف ولا عندك حل ثانى..؟
سلمى بحزن: والله مانا عارفه ايش اقول لك..!
صمتت.. لم تستطع الاجابه، وقد وجدت فيما سـمعته كـل الاجوبة على الحيرة التى لازمتها منذ أن عرفـت صـابر، وعن نهايه حبهما ، وقد تأكدت بأن صابر لن يتخلى عنها.
فاجأها صابر قائلاً: يعنى ماردیتی..؟
سلمى بانكسار: اللى اتشوفه.
صابر وهو يهم بالانصراف: ربنا ايجيب اللى فيه الخير
لم تذق سلمى طعم النوم .. أخذت تتقلب فى فراشـها يمنـة ويسارا تفكر فيما دار من حديث بينها وبيـن صـابر، هـل تخبره بانها رجعت فى إتفاقها.. أخذت تتخيل والدها يسـير

مطأطأ الرأس بين رجال القبيلة جراء فعلة ابنته التى جلبت
عليه العار والخزى والفضيحة ..
تخيلت والدها واخوانها وقد انفضوا الجميع من حولهم ..
وهو الذى كانت كلمته كحد السيف .. تخيلت القبيلة اجتمعت
تطالبه بالتنازل عن شياخة العشيرة لأخر يستحقها اكثر منه
.. تخيل ت والدها واخوانها إختطفوها من بيت زوجها وقاما
بذبحها والقائها فى الخلاء تنهش الكلاب لحمها ..
إقشعر بدنها لهذا الخاطر، حاولت أن تصرفه من مخيلتها
لكنه ظل يعاودها حتى استسلمت للنوم حين لاحت فى الافق
أول خيوط النهار.
أخذت تجوب بعينيها فضاء الصحراء سهولها وجبالها لعل
صابر يطل من أحد الجهات لتخبره انها لاتستطيع الهرب
معه ، لكنه لم يأت .

أخذ صابر يجمع بعض أعواد الحطب اليابس.. أوقـــد نـــاراً وضع عليها براد الشاى ، بينما انشغل والده بتنظيف بعـــض الحشائش التى تنمو اسفل وحول جذور شُجيرات التين.
أخذ صابر يفكر كيف سيفاتح والده ، وماذا سيقول له، وهــل سيرضى والده بما نوى عليه، وكان يعرف أن والـــــده لـــن يوافق بسهوله، لماذا لايختار واحدة من العائلة .. العشـــــيرة أوحتى القبيلة، ليس فيهن من تعجبه، إلا تلك الغريبه عنهم.
جاء والده وجلس فى مواجهته حول النار ، أخرج علبة التبغ ..لف سيجارة.. تناول جمرة من النار وأشعلها، ناوله صـــابر كوب الشاى قائلاً: يعطيك العافيه يابوى
رد والده: ويعطيك ياولدى
شغل صابر نفسه بجمع بعض أعواد الحطب المتناثرة حـــول النار، بينما كان فكره مشغولاً وحائر أكيـــــف يقنـــع والـــده بزواجه من سلمى..تردد.. أخذ يتلفت كمن يبحث عن شيء، بدا مرتبكاً.
قال له والده : علامك ياصابر..؟
أجاب صابرمرتبكاً: ولاحاجه يابوى
والده مداعباً: لا.. لا فيه حاجه شاغلتك ، ليـــش مـــاتقولى عليها..؟
أخذ صابر جرعة من كوب الشاى .. وضع الكـــوب علـــى الأرض.. استجمع شجاعته ، قال وهو ينظر الى الأرض فى حياء: ودى أتجوز يابوى
والده بمرح: وهذا هو اللى شاغل بالك مـــن الصبـــح ، ثـــم أضاف ضاحكاً: بسيطه.. بسيطه ، قرب أبوصـــــابر وجهـــه لولده قائلاً وبيتسامة تملأ وجهه: ومين هى بنت الحلال اللـــى قلبك مال ليها..؟

صابر وهو يعبث ببقايا النار : بنت الشيخ راشد يابوى
والده مستغربا: الشيخ راشد.. الشيخ راشد مين ..؟
صابر مرتبكا: شيخ قبيلة الوشيحات يابوى
اطرق ابوصابر قليلا .. نظر الى ولده .. عاد الى صمته يفكر فيما سمعه، يبحث عن اجابات عن هذا الكم المتلاحق من الأسئله التى بدأت تجوب برأسه.. هل يرفض طلب ولده ، وهل سيفهم ولده سبب هذا الرفض منان الشيخ راشد وهو يعرفه جيدا سيرفض أن يزوج ابنته لشخص من خارج القبيلة حتى لو كان هذا الشخص ابن أعز أصدقائه.
هل يجبره على الزواج من احد بنات أعمامه، واذا لم تعجبه واحده منهن ، فهناك بنات العشيره أليس فيهن ماهى أجمل من بنت الشيخ راشد..؟
ولكن يبدو أن الولد طالع لأبيه.. هكذا قال أبوصابر لنفسه وهو يعود بذاكرته الى فرحه التى أحبها بكل جوارحه ولكنه حكم عقله قبل مفاتحه والده فى أمر زواجه منها لأنه يعرف الرد حتى لو وافق والده على ذلك.
أحس بغبطه لأن ولده على شاكلته.. عزم على ألا يفرض عليه شيئا لايريده، وان لايحرمه مما يحب كما حرم هومن فرحه.
ساوره القلق، ماوقع نتيجة ذلك على ولده، فهو يعرف رد الشيخ راشد مسبقا ، فهو يعرف بأن الشيخ راشد سيقول له بأن سلمى مخطوبه لإبن عمها، ومعنى ذلك الرفض بأدب.
لكن الصداقه شىء والعرض شىء آخر، ولو كان مكانه مافعل غير ذلك.
فاجأه صابر قائلا: بتفكر فى ايش يابوى ..؟

أجاب والده بمرح وقد تخلى عن شـــروده: لا..لا.. ولاشـــي ياولدى، ثم أضاف: ربنا ايجيب اللى فيه الخير ياولدى .
أيه يافاطمه والله الأولاد ابيكبروا وابيكبر تعبهم معهم ، قـــال أبوصابر ذلك وهو يتمدد فى فراشه بجانب زوجته.
قالت وهى تسوى اللحاف عليه: خير إن شاالله يابوصابر ثـــم اضافت الأولاد هما الخير والبركه ياخوى
قال أبو صابر وهو ينقلب على ظهره: انا ماقلت شى .. نظر إلى سقف بيت الشعر .. اطرق قليلا.. إلى زوجتـــه وقـــال: ولدكى وده ايتجوز يافاطمه.. انخلع قلبها فرحا ن فهو بكرها وفرحة زواجه تختلف عن أى فرحة أخرى، ان لم تكن اكـبر فرحة فى عمرها بعد فرحة زواجها من ابوصابر، وعـــادت بذاكرتها حين زفت لأبوصابرقبل سبع عشر عاما.. وبينمـــا هي تعاود الزكريات قاطعها: لكن ماسألتينى ولدك ودة ميـــن يعنى..؟!
ام صابر بلهفه: ودة مين ياخوى..؟
أبوصابر ساهما: بنت الشيخ راشد ، وأضاف ولدك كل بنات العشيرة ماهم عاجبينه.. مد إل برا ، واللى برا هذا هو الـــى وده ايجيب لينا وجع الراس
نزل الخبر كالصاعقه على سمع أم صابر.. وأخذت تتمتـم .. والله أنا عارفه حظى ردى.. يعنى ماعجبته غير بنت الشـــيخ راشد ، ثم نظرت بطرف عينها إلى زوجها وهى تتمتـــم: آه والله الولد طالع لابوه عينه فارغه..!
تململت.. اعتدلت فى جلستها.. نظرت الى زوجها الذى بـــدا شارد الذهن مع طقطقات سبحته، قالت: أنـــا اللـــى اعرفـــه ياخوى ان الشيخ راشد هذا صاحبك ..ولا ليش...؟

أبوصابر وهو يزفر: ياحرمه الصحبه شي والـــزواج شـــي ثاني، ثم أضاف يعني عشان ماهو صـــــاحبي وده ايوافــق ايجوز بنته ال صابر علطول..
ثم اردف قائلا: أنحط نفسنا مكانه ،لو تقدم ولده يخطب بنتنـــا ودنا انوافق يعني ..؟
تنحنحت أم صابر ، وقبل ان تجيب قال أبوصابر:
الرجل ماهو غلطان ولو كنا مكانه ماسوينا غير كذى..
سادت فتره من الصمت بينهما.. قالت أم صـــابر : يـــاخوى جرب يمكن ربنا يهديه وايوافق، ولاتكسر ابخاطر ولدك، ثـــم أضافت مبتسمه: وان شاالله مايكون غير الخير.
همس أبوصابر: كله على الله ، ثم تهيأ للنوم.
أخبر أبوصابر بعض معارفه من أعيـــان ومشـــايخ القبيلـــه برغبته في خطبه بنت الشيخ راشد لولده، حاول البعض منهم اثناءه عن ذلك ، الا أنهم ابدوا استعدادهم للذهاب معه امــــام اصراره على خوض هذه التجربه.
ورفض الشيخ راشد طلبهم بحجة أن سلمى ابنته قد خطبـــت لابن عمها ، ولا يستطيع رد كلمته في هذا الشـــأن ، وكـــان بوده ان يحقق لهم مطلبهم ، ولكن مابااليد حيله فقـــد انتـــهى الامر..!
ماخفف خيبة أمل أبو صابر ومن معه انهم كانوا يتوقعــــون ذلك مسبقا، فهذه عادة أهل الباديه ولو كانوا مكانه مـــــافعلوا غير ذلك..
بقدر ماكانت سعادة سلمى حينما عرفت أن أبوصابر ومــــن معه جاءوا لطلب يدها، كانت تعاستها حينما رفض والدهـــا طلبهم ، وكانت تعرف النتيجه ، ولكنها كانت تأمل ربما غير

والدها رأيه من أجل هؤلاء الرجـال الذيـن جـاءوا مـع أبوصابر.
انصرف الضيوف.. التفت الشيخ راشد إلى أولاد عمومته الجالسين معه في المقعد.. قال بصرامـه موجـها كلامـه للجميع: أظن انكم سمعتوا كل الى صار، ولا عايزين أعيـده عليكوا ثاني.
رد الجميع : لا ياشيخ سمعنا كا شى
قال: وأيش رايكوا في الكلام اللى سمعتوه..؟
رد البعض: الرأي رأيك يا شيخ
قال غاضباً: البنت ماليها غير السترة
قال البعض: صدقت يا شيخ
قال الشيخ راشد في حده: وأنا ماودى غير كذى، ثم أضاف وهو يجوب بنظره بينهم: ولا الرجال خلصت من عندنا ..!
قال أحدهم : لا.. لاياشيخ، الأوله لأولاد عمها، والثانية لأولاد العشيرة
نهض أحد أولاد عم الشيخ راشد.. جثم على ركبتيه أمامـه.. مد يده إلى الشيخ قائلاً في جرأة: أنا ما أناسب اللى احسـن منك يا شيخ راشد .. وايشرفني اليـوم قـدام الحـاضرين، والحاضر أيبلغ الغايب، انى بأطلب يد سلمى بنت الشـيخ إل ولدى فرج..
قال الشيخ في رجولة: وأنا ايشرفني يا ولد عمـى نسـبك.. وأقولها قدام الجميع .. إني وهبت سلمى ال ولدك فرج علـى سُنة الله ورسوله.. هب الشيخ خارجاً عاد بعد برهة ممسـكاً بعود أخضر.. أعطاه لابن عمه قائلاً: وهذى قصلة سـلمى بنتي.. والله يجعلها مبروكة..

سمعت سلمى كل مادار من حديث بشأنها.. لم تستطع في هذه اللحظة حتى البكاء، ولو فعلت لكان حسابها عسيراً.
ليل الصحراء حالك.. الكل نيام.. أخذت سلمى تتقلب في فراشها يمنة ويسره ؛ ثم تتكفئ على وجهها محاولة النوم الذى جفاها .. تتقلب على ظهرها .. تصطدم عيناها بسقف بيت الشعر المعتم كسواد ليلها..جف حلقها .. تناولت إبريق الفخار .. شربت.. دعكت عينيها.. جذبت عليها الغطاء.. حاولت النوم كرة أخرى..حاولت طرد كل الأفكار والهواجس من رأسها .. أن تستسلم وترضى بنصيبها، فهى لا تستطيع أن تفعل شئ ولا بيدها ، فلن تستطيع الوقوف فى وجه والدها وعشيرتها وتقول لهم لن أتزوج حسان، الذي تمقته دائماً، وهو ابن عمها وأولي من الغريب، حتى لو تجرأت وفعلت ذلك، ربما كانت نهايتها القتل .
أغمضت عينيها.. تخيلت نفسها والفراش يجمعها مع حسان.. فزعت.. تحيلت ذلك مع صابر.. انتابتها نشوة غريبة لم تشعر بها من قبل .. تسلل إليها طيفه من بين خيوط الليل الحالكة السواد يسألها: هل تستسلمين..؟ هل هذا ما اتفقنا عليه..؟
هيا معى، فأنا لا أستطيع العيش بدونك.. اعتدلت فزعه وهى تتمتم .. لا.. لا.. ما اقدر ..كانوا أهلي يدبحونى ، اشاحت بيدها وكأنها تحاول طرد هذا الخاطر.. لا.. لن تستطيع أن تهرب معه .. ماذا يقول عنها الناس ، هل هى افضل من بنات القبيلة،اللاتي تزوجن هكذا ورضين بحياتهن كما هى ، هل تجلب العار والفضيحة إلى أهلها وعشيرتها .

فجأة تبدل حالها ، أخذت تسأل نفسها .. أليس من حقها أن ترفض حسان ؟، أليس من حقها أن تقرر من تتزوج بنفسها،؟ أليس من حقها أن تناقش والدها في مصيرها ..غلت عروقها..وكمن تذكر شيئاً هبت واقفه. تسللت إلى خزانة أمها ، أخرجت الثوب الأحمر المطرز.. مدت يدها إلى داخل الخزانة تناولت قنعتها وصندل البلاستيك الأحمر.. تسللت خارجة على أطراف أصابعها.. بدلت ملابسها.. تمتمت: مافيه غير الشيخ صالح هو اللى يقدر يحمينى.. ايوه ما يقدر على كذي غير هووه..

راجل له هيبة وكلمته مسموعة.. نظرت إلى السماء .. استطلعت الوقت ..تمتمت: الدنيا بدرى ،وان شاالله أوصل قبل ما يطلع النهار أخذت تمخر ليل الصحراء الموحش .. تشل أقدامها كلما سمعت نباح كلب ضال ، أو ظهر أمامها جبل سد عليها الدنيا.. وبين حين وأخر تنظر إلى السماء كأنها تستأنس بالنجوم العالقة في كبدها.. ما خفف عليها وحدتها أنها قضت معظم طريقها تتخيل أنها زُفت إلى صابر ،والركب يسير حولها وهى ممتطيه ظهر الجمل .. تغطيها الطرحة البيضاء والنساء ينظرن إليها في حسره ، وتتمنى كل منهن لو كانت مكانها، بينما تفر الخيل أمامها ذهاباً وإيابا وهى ترقب ذلك بسعادة من خلف طرحتها الشفافة.

بدأت تلوح فى الأفق أول خيوط النهار ، حين وصلت لبيت الشيخ صالح الذى كان يتوضأ استعداداً لصلاة الفجر..

وكعادة أهل البادية نهض الشيخ راشد مبكراً.. أخذ يفرك عينيه.. تنحنح بصوت عال ، كأنه ينبه هنيه زوجته أن تجئ إليه بابريق الفخار كى يتوضأ للصلاة.

نهضت أم سلمى .. ملأت من زير الماء.. مسحت وجهـــها ببعض منه .. ناولت الإبريق لزوجها قائله:
الله أيصبحك بالخير يابوربيع
رد وهو يتلفع بعباءته: صباح النور يام ربيع، ثـــم تنـــاول الإبريق وخرج للوضوء، بينما أخذت أم ربيع تكسر أعـــواد الحطب لتشعل له النار التي تجمرت ولم تحضر سلمى بـــراد الشاى كعادتها،ثم تذهب لحلب الماعز.
أيصبحك بالخير يُمه.. صباح الخير يا ربيع.. تلفـــت ربيـــع قائلاً: يعنى سالم وخضر تأخروا اليوم، ماهى عادتهم، قـــالت والدته وهى تلملم أعواد الحطب المتناثرة حول النار : حتـــى سلمى اليوم مانا عارفة ايش احكايتها ..!
سلمى .. سلمى ، يا بنت يا سلمى، أخذت أم ســـلمى تنـــادى على ابنتها .. بدأ أبو ربيع صلاته.. نهضت أم سلمى لتوقـــظ ابنتها وهى تتمتم : ايش احكايتك يا بنت يا سلمى اليـــوم .. وأخذت تقول وهى مقبلة على غرفة الحريم : قومى يا بنـــت النار جمرت، وابوكى خلص صلاته، ايش ايقول علينا..؟!
ازاحت أم سلمى الغِدفة أى الستار الذى يسد غرفة الحريـــم ، سلمى ليست بفراشها.. همست أم ربيع ربما تحلب المـــاعز ، لم تكن هناك .. اصابها الهلع.. اخذت تتساءل فى حـــيرة : وين راحت سلمى.. وين .. وين.
دبت يدها على صدرها بقوه حين اقتحمـــت فكـــرة هـــروب سلمى مخيلتها.ز عادت مسرعة تتمتم بكلمات غير مفهومه ، وقفت ترتعش حتى يفرغ أبوربيع من صلاته.. جـــاء ربيـــع ولدها البكر.. جذبته من يده بعيدا عن والده همســـت بـــهلع والخوف يملأ عينيها : سلمى ماهى فى البيت ياربيع
ربيع هلعاً: ايش اللى بتقوليه هذا يُمه..!

أخذت أم سلمى تولول: يافضيحتنا .. يافضيحتنا
يافضيحتك يابوربيع بين القبايل
فرغ أبوربيع من صلاته .. أقبل عليه ربيع متجهماً: حرمـــاً يابوى
رد أبوربيع وهو يثنى ويطبق المصليـــه: جمعـــاً ان شـــاالله ياولدى
نظر ابوربيع الى ولده الذى بدأت عليه علامـــات الارتبـــاك والغضب قائلاً: خير ياولدى ايش فيه..؟
ربيع مرتبكاً: سلمى ماحنا عارفينها وين يابوى..
هب الرجل واقفاً، وقفت أم سلمى وأولادها يرقبون الموقـــف هلعين ..
اهتاج أبوربيع غضباً.. نظر الى زوجته قائلا والشرر يتطاير من عينيه: كيف شردت بنتك ياهنيه
ارتعدت مفاصل ام ربيع .. اتخذت لها مكاناً بجانب ولدهـــا وكأنها تستنجد به : والله مانا عارفه ، ولولـــوت: الله يقطـــع البنات وسيرة البنات اللى مابيجى من وراهن غـــير الـــهم ووجع الراس.
امرها زوجها بالسكوت.. التفت الـــى وأولاده فـــى غضـــب وقال: ياخسارة الرجال.. نظروا الى الأرض.. جاءهم صوت أبيهم مزمجراً: شدولى شدوا لى على الحصان ياخيب، ثـــم دلف الى الداخل .. بدل ملابسه وعدل من وضع عمتـــه .. تلفع عباءته وولى خارجاً صوب ربيع الذى كان يقف ممسكاً بزمام الحصان فى انتظار أبيه.
امتطى ابوربيع صهوة جواده وأخذ يتتبع أثر سلمى ، وقطره حتى وصل به الى بيت الشيخ صالح .

ياعونك يابنتى .. قالها الشيخ صالح الى سلمى بعد أن قصت عليه قصتها.. التفت الشيخ الى زوجته قائلاً: خــذى سـلمى ياخضره وقومى معها بالواجب.
عاد الشيخ إلى مجلسه .. أكمل افطاره مــع أولاده، ..كـان يعرف جيداً بأن والد سلمى سيطل عليه فى أى لحظه، لــذا أمر أولاده ان يرتبوا المكان إستعداداً لإستقبال الضيف، أخـذ عايش الابن الأكبر للشيخ يرتب المكان .. التفت الشيخ الـى أولاده قائلا لأحدهم: اتروح الحين واتبلغ اعمــامك كلــهم ، واتقولهم عايزهم حالاً، ثم التفت الى ولده حماد قائلاً : وانـت ياحماد واخوك سليمان إتجهزوا الوقيد (أى الحطب لإشـعال النار) عندما يحضر أبوسلمى ومن معه.
انصرف كلّ منهم إلى ماكلفه به والده، بينما جلس الشيخ فـى انتظار ضيفه، وماهى إلا برهة حتى أقبل اخوان الشيخ الذى أرسل فى طلبهم ، وماكاد الشيخ يفرغ من قص حكاية سلمى عليهم حتى سمعوا صوت حمحمه حصان يقترب منهم.. أمر الشيخ اولاده بالخروج لمعرفة القادم .. اقــترب الرجــل .. اسرع ابراهيم واخبر والده بأن القادم الشيخ راشد ابوربيــع ، فخرج الشيخ صالح لإستقبال ضيفه.
صافحه الشيخ صالح بحرارة.. بينما كان وجه الشيخ راشــد عابساً .. غفر له الشيخ صالح فتوره ، فــهو فـى موقـف لايحسد عليه.. دلفا الى حيث يجلس الرجال فــى المقعـد ، صافحهم الشيخ راشد فى صمت وهو ينظر الـــى الارض.. جلس بجانب الشيخ صالح الذى قال فى محاولة منه للتخفيـف عن ابوسلمى: يامرحبا.. يامرحبا بيك يابوربيع.
رد الشيخ راشد وهو ينظر إلى الأرض وبصوت خفيــض: اتعيش واترحب يابوعايش، الله ايبارك فيك.

قام احد الجالسين صب فنجاناً منه القهوه ناوله للضيف .. شربه فى جرعتين كعادة أهل البادية صامتاً، وقد احترم الجميع صمته الذى لم يقطعه إلا الشيخ صالح الذى مال على الضيف قائلاً: ابشر بالتايهه، والحمدالله إللى ماراحت بعيد ، ثم اضاف: فى بيت اخوك امعززه امكرمه.
تمنى ابو سلمى أن تبتلعه الأرض .. نظر الى الشيخ صالح فى انكسار قائلاً: الله ايبشرك بالخير .. التفت الشيخ صالح الى ولده عايش قائلاً: فطور الضيف ياولاد .. هبوا أربعتهم واقفون .. الا ان الشيخ راشد اعلن رفضه قائلاً: الله يخلف عليك يابوعايش ، مالى حيله وأخذ يقبل ظهر يده قائلاً الحمدلله والشكر لله أفطرت قبل ما أقوم من البيت .. نظر اليه الشيخ صالح وكأنه يعاتبه قائلا عيب يابؤ ربيع انت فى بيت أخوك ، وخير الله كثير.
ساد الصمت لفتره ، قطعه الشيخ صالح بقوله: رقبتى ليك يابوربيع .. قل اللى فى خاطرك
أبوسلمى فى انكسار: والله يابوعايش انت سيد العارفين.
الشيخ صالح جاداً: يابوعايش يابركه طبعاً انت مايخفاك خافى ، وانت عارف اليوم ان بنتك جتنى طنيبه ، تستنجد بى فى رفع ظلم، وانت عارف انه ماهو من طبعنا احنا البداوه انتخلى عن اللى يستجير بينا، ثم أضاف: وانت لو مكانى ماسويت غير كذى.
أبوسلمى فى هدوء: صدقت ياشيخ ، وأنا اليوم جاى ودى اعرف ايش الظلم اللئ جاها منا، وانا قدامكو يارجال كل اللى ايقوله على اخوى الشيخ صالح انا شياله.
الشيخ صالح: ابيض يابوعايش، ثم نظر اليه قائلاً: انتوا غاصبين البنت على ولد عمها وهى ماهى قابلته، قاطعه

الشيخ راشد بقوله: أيو يابوعايش بس انت سيد العــارفين ان في عرفنا وباديتنا ان البنت ال ولد عمها، ولد عمـــها زيـــن الرجال مايتعيب.
الشخ صالح: الرّجال ماتعيب ياخوى يابوربيع ، لكن انـــت حط نفسك مكاني، توقف مع طنيبك ولا اتخلى عنه..؟
الشيخ راشد: رقبتي ال طنيبي، عمرى ماتخلى عنه هذا شـــى تربينا عليه.
الشيخ صالح تسلم ياخوى، وأنا اليوم زى كذى بنتك رافضـــه ولد عمها ، وتقول الموت ولا هووه.
الشيخ راشد :بسيطه ان كان بنتى ماودها ولد عمـــها هـــذا ، تختار إللى اتريده من اولاد عمها الثانيين،ثم أضاف بحميـــه وهو جاثم على ركبتيه: وان كان ماحد عاجبـــها فـــى اولاد عمها ، اولاد العشيره اكثار ياشيخ صالح، واظن
بعد كذى ماظل كلام ، ثم أضاف وهو يجول بنظره بين بعد كذى ماظل كلام ، ثم أضاف وهو يجول بنظره بين
الحضور: ولا أنا غلطان يارجال فى كلامى، وانتوا كلكـــوا عندكوا ولايا، والى ماترضوه ع ولاياكوا لاترضوه ع بنتـــى.
الشيخ صالح مبتسما للتخفيف على ضيفه: والله كلامك زيـــن زيك يابوعايش ،
عشان كذى بستاذن منك انى أشاورها فى الكلام هـــذا ، ثـــم اضاف وهو ينهض: وان شاالله ربنا يهديها ويهدينا جميع.
سمعت سلمى كل مادار من حديث بشأنها لذا مـــا ان دخـــل عليها الشيخ صالح حتى اجهشت بالبكاء وتنظـــر اليـــه فـــى توسل من خلال دموعها وتقول: انا سايقه عليك الله والنبـــى لاتردنى مع أبوى .. علا نحيبها .. أخذت خضـــره زوجـــة الشيخ تربت على كتفها لتخفف عليها حزنها وهـــى تقـــول:

لاتخافي يابنتي ابوعايش مايسوى غـــير اللـــي وذك ايـــاه لاتخافي.. لاتخافي واخذت تربت على كتفها وتواسيها.
من بين دموعها قالت سلمى للشيخ وهى تنظر إليه فى توسل وانكسار: أنا ياشيخ صالح ان رجعت مع أبوى يذبحوني.
قاطعها الشيخ قائلا: لا يابنتي .. ترجعى امعززه امكرمه، ثم أضاف مبتسما: وأظن انك سمعتي كل اللي دار بيني وبيـــن ابوكي الحين..؟
ارادت سلمى أن تنهى ذلك لذا بادرت قائله: الله يرضى عليك ياشيخ لاتغصبني على شي انا ماودى ايـــاه : وانـــت ايـــش اتريدى الحين يابنتي.
سلمى بحزن وهى تنظر الى الأرض: انـــت تعـــرف اللـــي اطنبت عليك علشانه ياشيخ، ثم أضافت بصرامه: وان كـــانك شايفني حمل عليك ياشيخ .. ادخل على شيخ ثاني..!
احمر وجه صالح.. تململ .. بدت عليه علامات الغضـــب.. تمالك نفسه.. ولولا انها دخيلة عليه لاختلف الأمر.. ربمـــا صفعها .. فقد أهانته ، ولكنه تغاضى متمتما.. اســـتغفر الله العظيم..حرمه..!
نظر اليها وقد استعاد هدوءه قائلا: أنا أقدر أحميكي واجيـــب واسويلك كل اللي انت عايزته..
نظرت اليه زوجته قائلة: معلش ياخوى البنيه ماتقصد..
استدركت سلمى الموقف فاعتذرت للشـــيخ قائلـــه: والله انـــا ماقصد ياشيخ صالح .. الله يقطع الساني.. وانا اعرف إنـــك قدها واقدود.. والا ماكان اخترتك من بين مشـــايخ القبـــايل كلها.. تنحنح الشيخ قائلا: ولا ايهمك يابنتي أنا خدامك
ردت سلمى وكأنها تعتذر مرة اخرى : سلامتك ياشيخ.

أخبر الشيخ صالح والد سلمى بأنها لاترغب في العوده معـــه إلى البيت، مما دعاه للسؤال مستغربا: كيف يعنـــي ياشـــيخ ماودهي اتعاود امعي ، يعني ايش ودها..!
الشيخ صالح وهو ينظر الى الشيخ راشد وكأنه يتوســـله أن ينهي هذه المشكله: بنتك ياشيخ طالبه رضاك واموافقتك على جوازها من صابر ولد الشيخ عامر.
تململ أبوسلمى .. صمت قليلا يعرف بأنه لن يستطيع أخـــذ ابنته من بيت الشيخ صالح أو اجبارها على شيء فهي فـــي حماية رجل .. وليس من حقه ان يفعل ذلك في عرف الباديه ..لذا لم يجد مفرا من الموافقه لأنه لو كان في موقف الشـــيخ صالح لما فعل غير ذلك..
نظر الى الشيخ صالح قائلا: وانا عشان خاطرك يابوعـــايش انت والرجال الموجودين اموافق ع اللى بتقوله ، لكـــن لـــي شرط، قال الشيخ صالح مبتسما وكأن حملا ازيح من علـــى كاهله: خير ان شاالله ياخوي..؟!
قال ابوسلمى: بنتي تطلع من بيتي.
نظر اليه الشيخ صالح في شك وريبه.. فهمها ابوسلمى فبادر قائلا: ياشيخ صالح تطمن وانت عارف ماهو مـــن طبعنـــا انقول كلمه ونرجع فيها ولو على ارقابنا..
الشيخ صالح : سلامتك رقبتك ياخوي ، والله اتقول واوتوفي.
رد الجمع : اتقول اوتوفي ياشيخ.
فاجأه الشيخ صالح بقوله : واحنا ان شاالله يابوربيع جـــايينك خطابين وكان يقصد بأنه سيحضر الشيخ عـــامر أبوصـــابر ومن معه لانهاء اجراءات زواج صابر وسلمى.
ابوسلمى وقد بدأ اكثر هدوءا: حياكو الله يارجـــال، بيتكـــو ومطرحكو

فأستأذنه الشيخ صالح قليلا ، ولكن بفطنة أهل الباديه فى مثل هذه الامور عرف أبوسلمى ماينوى الشيء صالح على فعله، ولذا بادر قائلا: انا ياشيخ صالح مانى ضيف ، فقاطعه الشيخ صالح بحزم قائلا: والله انت ضيف يابوربيع ومايشرفنا اللى أفضل منك، وقبل ان يرد أبوربيع ، أضاف الشيخ صالح قائلا: حد الله ياشيخ مانت ماشى غير تاخذ واجبك ، ياعيب الكلام..!

التفت الشيخ صالح إلى أولاده الذين فهموا نظرة والدهم فهبوا خارجين .. استأذن الشيخ صالح من ضيفه لحق بأولاده ، أشار على خروف من بين الإغنام.. سحبه حماد.. جاء ابراهيم بجرة الماء .. صب للخروف بعض منه ليشوب.. جاء سليمان بالسكين، بينما أخذ عايش يتمتم ببعض الكلمات المباركة على جسد الخروف الملقى فى استسلام تام.. نحر عايش الخروف.. التفت الشيخ صالح لولده حماد قائلا: تركب ع الحصان الحين هذا وأتروح إتبلغ الشيخ عامر باللى صار واللى اتفقت عليه مع أبوسلمى ، واتقول له ايجهر نفسه وايجيب امعه اللى ايجيبه من الغانمين (أى الرجال) باكر العصر عشان انروح ونخطب سلمى ال صابر ولده.

حاضر يابوى قالها حماد وهو يهم بالإنصراف.. شد حماد على حصانه، امتطى صهوته ومضى يمخر عباب الصحراء.

الشمس توشك على الغروب حين وصلت قافلة الضيوف ، وكان الشيخ راشد ورعيته فى انتظارهم وقد أعدوا خيمة كبيره تتسع لاكثر من ثلاثين رجلا لذلك.

رحب الشيخ راشد بضيوفه وهو يجول بينهم ، ثم اتخذ لـــــه مكانا بينهم وجلس .
أخذ رجل من رعيه الشيخ راشد يـــدور علـــى الحـــاضرين ممسك بيده اليسرى بكرج القهوة ، وممســـك بيـــده اليمنـــى مجموعه من الفناجين المتداخلة في بعضها البعض، وكلمـــا وقف أمام ضيف انحنى قليلا أمامه فيملئ ثلث الفنجان قـــهوة وقدمه للضيف قائلا: الله ايمسيك بالخير
فيرد عليه الضيف التحية بمثلها ويتناول الفنجان ويشربه فى جرعتين كعادة أهل البادية.
فرغ الجميع من تناول القهوة وتبادل الترحاب والسؤال عـــن الصحة والأحوال.. سادت فتره من الصمت بينهم.
غمز الشيخ راشد لولده ربيع بطرف عينه فجاءه مســـرعا.. جثم على ركبتيه بجانب أبيه الذى همس فى اذن ولده بأن يعد طعام العشاء للضيوف ، لكن الشيخ صالح تنبه لذلك لذا فاجـأ الشيخ راشد بقوله: ياشيخ راشد أعتبرنا مـــاخذين واجبنـــا وازياده ، وقبل أن يرد الشيخ راشد ، واصل الشيخ صـــالح قائلا: وانت عارف واجبنا يابوربيع .
نظر الشيخ راشد الى الشيخ صالح وكأنه يعاتبه: يابوعـــايش تاخذوا واجبكوا الاول وبعدين يفرجها ربنـــا . اراد الشـــيخ صالح الكلام ولكن الشيخ راشد سبقه بالقول: يابوعايش انـــا رقبتى ليكوا يارجال.
قال الشيخ صالح الذى هب واقفا وأخذ يجول ببصـــره بيـــن الجميع ، ثم تقدم وجلس بجانب الشـــيخ راشـــد ، وبصـــوت رجولى موجها حديثه للجميع: صلوا بينا ع النبى يارجال
رد الجمع: عليه الصلاة والسلام.

نهض الشيخ صالح .. تقدم خطوتين، ثم استدار وجثم علـــى ركبتيه فى مواجهة الشيخ راشد وبادر بالقول: احنــــا اليــوم ياشيخ راشد جايينك ، واخذ يشير الى باقى الرجـــال الذيــن جاءوا معه، احنا جايينك طالبين القرب منك، طـــالبين ايــد بنتك العفيفه سلمى إل صابر ولد الشيخ عامر..

هب أبو صابر واقفا تقدم بخطى ســـريعه وجلـــس بجـــانب الشيخ صالح فى مواجهة أبوسلمى مادا يده قائلا لأبوســـلمى: واحنا ايشرفنا نسبك ياشيخ راشد ، ثم اضاف واحنـــا اليــوم جايينك اومتعشمين خير ، وأيش قولك ياخوى..؟

رد ابوسلمى: حياكو الله يارجال، وأنا يكفينى جيتكو اليــوم ، ثم اضاف وهو يجول ببصره بين الجميع : ولاجيتونى فـــى رقبه ما أقدر اتأخر يارجال.

قال معظمهم: تسلم.. تسلم ياشيخ.

مما شجع أبوسلمى على القول: وأنا لو وصلت بنتى لحد بيت رجلها ما أنا على ندم، وأكون راضى مرضى .

رد الشيخ صالح وبعض مـــن الحضـــور: تكـــرم .. تكـــرم يابوربيع، والله اتقول وأتوفى.

قال ابوصابر: أوهبها باشيخ راشد .. أعتدل ابوســـلمى فـــى جلسته ، جال ببصره بين الحضور .. التفت نحوأبوصـــــابر مادا يده ، وقال بعد أن وضع ابوصابر يده فى يد ابوسلمى: على سنة الله ورسوله وامام شهادة الشهود والحاضر ايبلـــغ الغايب وهبـــت بنتى سلمى ال ولدك صابر ، ثم تناول عـــود الحطب الاخضر الذى جاء به خضر ولـــده لـــهذا الغـــرض خصيصا ، تابع ابوسلمى حديثه قائلا: وخطية ســـلمى مـــن اليوم امام الله وعبيد الله من رقبتى فى رقبت جوزها .

قال ابوصابر: وانا عن ولدى قبلناها ،ويشهد الله ماانفرق بينها وبين بناتنا ومانرضى عليها الجور.
رد الجمع: مبروكه عروسكو يابوصابر.. وقال البعض: الله يجعلها دليلة المال والعيال.
وأحذ ابوصابريرد عليهم تبريكاتهم .
كان ابوصابر قد اتفق مع ابوسلمى على المهر امام الشيخ صالح، وقد وعد ابوصابر ان يكون جهاز سلمى لايفوقه جهاز.
ما ان زف ابوصابر الخبر لربعه وجماعته حتى نهض الرجال والشباب والصبيه الذين كانوا فى انتظاره وأقاموا السامر احتفلا بهذه المناسبه لمدة سبعة ايام كعادة اهل الباديه.
أما صابر لم تسعه الدنيا من شدة فرحته ، واخذ يعد اللحظات لغد لكى يلقى حبيبة عمره .
الوقت عصرا .. اجتمع معظم رجال العشيره وشبابها لكى يشاركوا ابوصابر فرحته بزواج ولده ، وكان ابوصابر قد خرج مبكرا وولده صابر لشراء جهاز العروس .
اشار ابوصابر على بعض افراد عائلته بأن يقوموا بذبح (الحليه) (اى الذبيحة التى تذبح ليلة الزفاف) مجرد سماعهم أذان المغرب، وذهب ومن معه لاخذ عروسهم من بيت ابيها.
خرج موكب العروس ماقبل الغروب، وما ان وصل الموكب مع العشاء حتى انتشرت الفوضى فى المكان ..
ادخلت العروس الى(برزتها) (اى الخيمة التى ستدخل فيها).
جلس بعض الرجال فى المقعد ، وذهب بعضهم لمشاركة الشباب فى السامر.. وماهى الا فترة وجيزه حتى جاء

الشباب بصوانى الطعام .. توقف السامر.. وما انْ فرغـــوا من الطعام اقاموه ثانيه حتى شارف الوقت على الواحده ليلا.
وفى اليوم التالى تهافت المهنئون والاقارب والاصحاب مـــن يقتاد (شاه) اى ذبيحه ماعز او خروف، ويقف امام أبوصابر يقسم بغليظ الأيمان بألا تعود معه هذه الذبيحه مـــرة اخـــرى الى بيته، ون يجيىء حاملا على جمله جوالا من الدقيـــق او اسكر ، بينما تحمل النساء على رؤسهن الصوانـــى المليئـــه بالسكر والبيض والحلوى.، وقف ابوصابر يتـــأمل الاغنـــام التى جاء بها المهنئون ، احس بغصة فى رقبته ، فكل ذلـــك دين فى رقبته لابد من الوفاء به لاصحابه فى اى مناسبه.
شكل الرجال الجالسون تحت الخيمة مربعا .. أخذوا يتبادلون احاديث الشوق ويتعرفون على مختلف الاخبار فى حين حمل بعض الصبيه صوانى الشاى واخذوا يـــدورون بـــها علـــى الجالسون، بينما التف بعضهم حول موقد النـــار يجـــهزون الشاى والقهوه.
وأخذ بعض الصغار يقومون بغسل أكواب الشاى وفنـــاجين القهوه.
على الجانب الأخر شمرت النساء عن سواعدهن ، منهن من تقوم بالعجين، ومنهن من تقرصه، ومنهن تخبزه، ومنهن من تجلس تدس اعواد الحطب اليابس تحت الصاج وتقوم بتقليـب الارغفه.
أما بعض الرجال فقد قاموا بذبح الذبائح،ومنهم مـــن يقـــوم بسلخها، ومن يعد النار.
اصطف الرجال لصلاة الظهر ، بينما اخذت النســـاء تفـــت الخبز فى صوانى كبيره، يتناولها أحد ابناء العائله يضيـــف عليها الشربه والارز ثم يقوم بتغطية وجـــه الطعـــام بقطـــع

اللحم، وماكاد الرجال يفرغون من صلاة الظهر حتى يجيىء الرجال صفا واحدا، يضعون صوانى الطعام فى اماكن متفرقه ومتقاربة امامهم، ويقف الصغار يحمل كل منهم ابريق ماء وبيده الاخرى صابونه لكى يصب الماء على من يفرغ من الأكل.

وبعد ان يفرغ الجميع من الطعام، يحمل الرجال الصوانى.. وكل من الجالسين يقول: الله يخلف عليك، بينما يردد البعض : الله يجعلها مبروكه(ويقصد العروس)

وبعد ان يفرغ الضيوف من شرب الشاى او القهوه، يتسابقون لركوب الخيل، ويقف الاخرين لتشجيعهم، ويقوم البعض من المشجعين باطلاق الاعيرة الناريه، ويستمر الحال هكذا لمدة ثلاثة ايام ، بينما يستمر السامر لمدة سبعة أيام متتاليه.

الشمس عالقة فى كبد السماء، صبغت وجه صابر بسمرة محببه والعرق يتصبب منه بينما كان عائدا من السوق وقد اشترى مؤونة البيت.. يستعجل جمله لشدة الحر وشوقه لرؤية صغيره الذى لم يكمل العام الاول من عمره بعد ، وقد حرص على شراء بعض الحلوى له، وما ان اطل صابر على البيت حتى فغر فاه دهشة.. لكز جمله.. اخذ يحدث نفسه ايش اللى صار ، ايش البلا هذا.. اللهم ماجعله خير يارب.

البيت محاصربعربات الجيب الاسرائيليه.. وكل عربه مليئه بالجنود المدججين باسلحتهم.. وقد وقفت عربة (باور) نزل منها ضابط بزيه العسكرى يقف فى عجرفه وكبرياء على احد قدميه بينما اسند الاخرى على سلمة باب العربه يحدث

ابوصابر الذى تسمر فى مكانه امام الضابط ينظر اليه فـــى دهشه وخوف.
أناخ صابر جمله، صوب اليه بعض الجنود بنادقـــهم، تقــدم نحو أبيه .. أشار اليه الضابط بالتوقف وهو يطمـــأن علـــى مسدسه العالق فى القايش ، ثم نظر الى ابوصابر قائلا بلهجة عربيه مكسره:
انت الشيخ مبارك(وينطق الراء غين)
_ أيوه
الضابط: شوف شيخ مبارك طبعا انت الكبير بتاع العشـــيره كله، وطبعا كله بيسمع الكلام بتاع انت..
الشيخ مبارك فى هلع : أيوه.. أيوه
الضابط ويدعى(أوفر): انت عارف شيخ مبـارك ان الارض هدى ، وأخذ يشير بيده وهو يلف بجسمه: منطقه عســكريه، يعنى ممنوع يكون فيه ناس هون، علشان إخنا بنجيب هـــون جيش كتير ،وكمان بيكون فيه ضرب نار ، واخنـــا بنخـــاف عليكم تموتوا..!
ثم اضاف فى تعالىوبلهجة أمره، بينما ابوصابر يقف منصتا فى دهشه وخوف:
علشان كده شيخ مبارك لازم كل الناس تمشى من هون فـــى اسبوع واحد ،واعاد وهو يشير بأصبعه: اسبوع واحد بس .
وقبل ان يجيب الشيخ مبارك أضاف الضابط ايشل قائلا:
انا : بأجى هون بعد اسبوع اى واحد بيكون هون ، ومش بينفذ الامر: اخنا بنطخه، وبنحرق البيت بتاعـــه.. مفـــهوم شيخ عامر وأخذ يتحسس مسدسه.
الشيخ عامر وكمن افاق من غيبوبة وفى تردد:
يعنى انتوا عايزينا نرحل من ارضنا..١

اوفر بخبث: ايوه.. علشان احنا بنخاف تموت
ابوصابر فى جرأه: كيف بتخافوا علينـــا وانتـــوا عـــايزين اترحلونا من أرضنا..١
ثم اضاف: وين أنروح..؟
اوفر:مابعرف وين بتروح ، انت تنفذ الأمر وبس .
صابر فى استغراب وموجها حديثه للضابط وهو يشير بيـــده فى غضب: يعنى كيف مابتعرف، ابتعرف ونص.
صوب احد الجنود بندقيته نحوه، نظر اليه والده قائلا:
اسكت ياصابر : صابر يتفرس وجوه
الجنود فى غضب، ركز النظر فى وجه الضـــابط ، قـــال غاضبا: احنا مابنترك أرضنا واللى ودكوا تعملوه اعملوه.
التفت اليه الضابط غاضبا، وضع يده على مسدسه قال: انـت عارف ولد أنا مين..؟!
صابر بلامبالاه ورباطة جأش: لا.. ومابيهمنى اعرف.
الضابط وهو يصفعه: انا الحاكم العسكرى.. حمار..
دارت الدنيا بصابر .. تمالك نفسه .. كـــاد ان يقفزويمســك بتلابيب هذا الكلب ولايتركه إلاجثة هامدة.. همـس يـــاولاد الكلب.. نظر الى الجنود.. البنادق موجهة إليه بإنتظار أمر.
نهره والده قلت لك اسكت ياصابر، اوعه تتكلـــم ولا كلمـــه واحده.. فاهم.
التفت الشيخ عامر إلى الضابط وهو يقول معلـــش ياســـعادة الحاكم كلمنى انا .
ياسعاده الحاكم كلمنى أنا.
الحاكم اوفر فى غضب: كمان اسبوع مش لازم يكون فيـــه واحد هون .. مفهوم، ثم استدار وقفز إلى داخـــل العربـــه.. أشار إلى بقيه الجنود بإتباعه.

وقف الشيخ عامر على المنبر يوم الجمعه حزينـــــا، ذابــل العينين، وكان الجميع قد عرف الامر.
الشيخ عامر حزينا وقد أغرورقت عيناه بـــالدموع موجـــها حديثه للمصلين وكان اغلبهم من ابناء عشيرته:
طبعا انتوا كلكو عرفتوا اللى حصل.. ان الحاكم الاســرائيلى هذا اللى بيسموه اوفر جا البارح وقال لى ان الناس كلها لازم ترحل فى ظرف اسبوع ، واللى ايلاقيه بعـــد كـذى ودهـــم ايطخوه بالنار ويحرقوا بيته،وانتوا أيش
رايكو ياعرب.. امصيبه وحطت ع روسنا، وايش الحل .
تنهد الشيخ حزنا واخذ يمسح دمعة سالت على خده.. اكمـــل قائلا فى حزن شديد والدموع تخنقه،بينما غرق الجميع فـــى صمت وحيره قائلين: ياعرب هذول يهود كفره ولايبعرفـــوا الله ولارسوله، ثم اضاف فى انكسار: واحنا مالينا حيله فيهم، ومايقدر عليهم غير خالقهم، وانا شايف انه ماقدامنا غير ياما نرحل ياإما نقعد وانعرض نفسنا للموت على ايــد هالكفــار، وانتوا ايش رايكوا ،اللى اتشوفوه انا معاكوا فيه .
صمت الجميع برهه، نهض عطوه قال للجمع وهــو يشـــوح بكلتا يديه فى غضب : انتوا ليـــش ســاكتين، مـــاهو معنـــا إسكاتكو هذا إنكوا اموافقين ع اللى بيقولوه، ثم اضاف وهـــو يجول ببصره بين الجميع وفى حده،وكأنه يتهمـــهم بـــالجبن: اللى وده يرحل.. يرحل، اما انا مزروع لولاد الكلب هـــدول هنا ، اموت فى ارضى، احسن ماموت جـــوع فـــى بـــلاد الناس.
كان الشيخ عامر يدرك تماما ان عطوه سينفذ كل كلمه قالها، وقد عرف عنه الجميع ذلك،فقد ذاق مرارة العيش رغم حالـــة والده الميسوره ولكنه لعصبيته كان دائم الخلاف مع والـــــده

الذى غالبا مايضرب بأوامره عرض الحائط حينمـــا يشـــير عليه بمساعدة اخوانه فى أعمال الأرض، مما يغضب والــده والنتيجه دائما أن يطرده من البيت، ولكن كـــان لــه مكانــة خاصه فى قلب والده لما يتمتع به من رجولة وشهامة وقلــب كالفولاذ، ولكنه لايظهر له ذلك حتى لايتمادى فى عصيانـــه له، وكان الشيخ عامر يعرف كل ذلك فهو ولد عمه ، وتربيـل سويا وكان دائما ذراعه اليمين، لذا حمد الله أن عطوه لم يكن معه حينما جاء الحاكم ومن معه من الجنود وأمروه بــالرحيل هو وعشيرته خلال أسبوع، لو كان عطوه متواجدا لايعــرف الشيخ عامر ماذا ستكون النتيجة ؟ ربمـــا أمســك بتلابيــب الحاكم وقتله، ربما فعل شيء أغضبهم فأعتقلوه وزجوا بـــه فى السجن، فلن يعدى الأمر هكذا.

اشار الشيخ عامر على عطوه بالجلوس حتى يستطيع الرجال التفكير بالأمر فى رويه، ثم اضاف موجها حديثـــه للجميـــع قائلا: ياعرب الشور شوركوا واللى اتشوفوه انا معكوا فيه .

ساد الصمت بين المصلين، ولم يســتطع الشــيخ عــامر ان يخطب فى هذا اليوم، وتحول المســـجد الـــى قاعــه تعــج بالفوضى بين رافض للرحيل مهما كلفــــه الامـــر ، وبيـــن مستنكر لفعله هؤلاء اليهود فكيف يترك ارضه..؟

أين سيذهب..؟ كيف سيعيش..؟ بينما آثر بعضهم الســـكوت وأخذ يفكر فى أمر هذه المصيبه التى حطت على رؤوســـهم، وأخذ يهمس أيش انسوى يارب.. وأحنا لاحـــول ولاقـــوه.. حسبى الله.. حسبى الله فيهم.

فى اليوم السابع جاءت العربات الاسرائيليه وقام الجنود بهدم البيوت ، وتخريب الزرع، واثارة الرعـــب بيـــن الأطفـــال والنساء، فأضطر الرجال الى الرحيل،وأخذ كل منهم يحمـــل

مايستطيع حمله على حماره او جمله، واستقروا فـــى احـد المناطق على ساحل البحر، وأخذ كل منـــهم يتدبـــر امـــور معيشته.
توالت الايام.. ضاقت الدنيا فى وجه الجميع.. جلس صــــابر يفكر فى طريقة للخلاص من هذا البلاء الذى حــــل بـــهم، فقطعة الأرض الصغيرة لايسد دخلها رمق الجـــائع .. شــل عقله وجن جنونه كلما نظـــر فـــى وجـــه زوجتـــه وطفلـــه الصغير.. إستخار الله.. لابد ان يفى بما اتفق عليه مع رفيقيه عواد واسليم.
جلس ثلاثتهم على الكثيب الرملى، وكان الوقت عصرا،أخـــذ كل منهم يفكر، فاجأهم صابر بقوله: بس
التفتا اليه رفيقاه قائلين بصوت واحد: خيـــــر
وأخذ صابر يشرح لهم خطته.. وحددوا المكان والزمان الذى سيتقابلون فيه.
وبينما كان ثلاثتهم يسيرون بأحد الطرق ليـــلا، وإذ بعربـــة جيب اسرائيليه مقبله عليهم، نظر كل منهم للاخر وقد قـــرأ أفكار صاحبه، وفى لمح البصر ارتمى احدهم على قارعـــة الطريق وأخذ يتلوى كمن أصابـــه مغـــص بينمـــا يحـــاول الاخـــران مســـاعدته.. أقـــتربت العربـــــة.. أعترضـــــها احدهم..استنجد بهم فىنقـــل صاحبـــه الىالمستشـــفى..أخـــذ الجنديان ينظران لبعضهما البعض ..رطنا بالعبريـــــة علـــى بعضهما.
أمر الجندى الذى يقود العربة عواد أن يبعد صاحبـــــه عـــن الطريق ليواصلا سيرهما.. وبينما انشغل الجنديان بـــالحديث مع عواد،هوى اسليم بقطعة من الحديد علـــى راس الجنـــدى الاخر شجت رأسه، فإلتفت السائق مفزوعا، وقبل أن يفق من

هول المفاجأه سحبه صابر من قميصه الكاكى والقاه ارضبا ولم يتركانه هو وعواد الاجثه هامده، وكان اسليم قد قضى على الاخر الذى كان قد مغميا عليه.

حمل ثلاثتهم الجنديين.. ألقيا بهما فى صندوق العربه الجيب، وولوا بالفرار.

لم تمض ثلاثة ايام قضاها الجنود الاسرائيليون يمشطون المنطقه بحثا عن خيط يوصلهم الى الجناه، وقامت الدنيا بين صفوف الاحتلال، وقد عرفوا بأن الجناه ثلاثه بعد تقصيهم لاثارهم على الرمال.

لم يحاول صابر ورفاقه الاتصال ببعضهم , ولم يبح أحدهم بسره لآخر غيرهم، مضى شهر على الحادثه وظن الجميع ان الامر انتهى ، فلم يعد أحد يرى الجيبات الاسرائيليه تصول وتجول بين الأهالى ، ولم تكن هناك اعتقالات كما كانت ، حتى من اشتبه فيه وأعتقل تم الافراج عنه، وبدأت الامور تعود الى طبيعتها حتى حدث ماحدث.

بصق عطوه على يديه ، فركهما بشده،احكم قبضته على فأسه هوى بها بقوه على الأرض ، وأخذ يحدث نفسه وهو يتلفت حوله قائلا: لا.. أن شا الله اخلص عزيق اليوم، وبكره اللى ايعيش ازرع البطيخ.. شعر بالارهاق.. ألقى بفأسه، ذهب وجلس بجانب النار، تناول براد الشاى ،ملأ نصف الكوب وإذ بأزيز شديد.يملأ أذنيه يقترب منه شيئا فشيئا ..القى البراد وهب واقفا يستطلع الأمر ، فاذ بعربة باور اسرائيليه وخلفها عربتا جيب.

توقفت العربه الباور على بعد عشرين مترا امن عطوه الواقف ينظر فى دهشه.. ترجل الضابط وسار نحو عطوه،

خلفه بعض الجنود، هم عطوه بملاقاتهما .. تحفز الجنود ..احكم كل منهم قبضته على سلاحه المعلق فى كتفه.
لم ينظر الضابط إلى عطوه وأخذ يتابع السير .. نزل الى داخل المزرعه.. تبعه بعض الجنود، بينما وقف آخرون كلا منهم مشهرا سلاحه استعدادا لأى طارىء .. إشتاط عطوه غضبا ، وأخذ يشوح بكلتا يديه موجها كلامه للضابط: ايش بتعملو انتوا.. ايش عايزين، همس فى استغراب: لعنة الله عليكو.. زعق بصوت مرتفع: ماهو امكفى اللى عملتوه، جايين اتوسخوا هنا كمان..؟
نظر الضابط لأحد الجنود.. رطن عليه بالعبريه: ماهو يجيد..؟ رد عليه الجندى، نظر الضابط الى عطوه فى غضب.. صفع عطوه صفعه قويه كادت تسقطه ارضا، تمالك عطوه نفسه، نظر الى الضابط فى غل والشرر يتطاير من عينيه، تلفت حوله يبحث عن فأسه.. أدرك الجنود مراده، صوبوا أسلحتهم نحوه.. لم يهتز، وأخذ ينظر اليهم وقد بدأ يرتعش من شحنة الغضب بداخله والتى كادت تفجره.
مال الضابط على شجيرة جوافه، انتزعها وطوح بها فى الهواء..وأخذ ينظر الى عطوه فى سخريه.. جن جنون عطوه.. استدار مسرعا.. تسلق الكثيب الرملى الذى يحف مزرعته.. تعالت ضحكات الجنود..بعد فترة وجيزه عاد عطوه وبرفقته عشرة رجال يحمل كلا منهم عصا غليظه.. صوب الجنود بنادقهم نحو الرجال الذين تقدموا حتى وقفوا أمام الضابط يتقدمهم عطوه الذى بادر قائلا بلهجته البدويه فى غضب: لو واحد فيكوا مد ايده على شجره والله لقطعها له، وأخذ يشوح بعصاته فى وجه الضابط.

شد جندى اجهزة بندقيته.. أشار عليه الضابط بالتوقف.. نظر الضابط الى الرجال قائلا فى هدوء:
كل واحد يجيب الهويه بتاعه
عطوه: مامعنا هوايا
الضابط آمرا: وين الهويه تبعك..؟
استدار عطوه.. توجه نحو جلابيته،دس يده داخلها، أخــــرج الهويه، عاد وناولها للضابط قائلا : هــــذى هويتكــو مانــا عايزهى.
أحكم الضابط قبضته على بطاقات الرجـــال.. نظـــر لأحـــد الجنود، رطن عليه بالعبريه وهو يشير بيده نحو عطوه قائلا : تجيد لو شى يبو مخارعل همسراد، أى(قل لـــه ان يـــاتى غدا للمكتب)
تقدم الجندى صوب عطوه الواقف فى مقدمة الرجـــال، قـــال الجندى بلهجة عربيه مكسره: انت بتعـــرف مكتـــب الـــهاكم الئسكرى..؟
عطوه فى قرف: أيوه
الجندى آمرا: بكره السائه تسئه صباخا انت بتكون هنــــاك.. مفهوم.. وإستدار منصرفا ، ثم التفت نحو الرجــــال قـــائلا: وانتم كمان بتيجو معاه.
ثم انصرفوا خلف قائدهم الذى تحرك نحو العربات ، فركبــوا وانصرفوا.
ركب عطوه حماره قاصدا ابن عمه الشيخ عامر ليقص عليه ماحدث ، قال الشيخ عامر: ولايهمك.. أنا بكــــره ان شــــالله بروح معاك وربنا ايجيب اللى فيـــه الخـــير، ثـــم اضــــاف قائلا:ولو إنا من يوم ماشفناهم ماشفنا خير

قال الجندى الحراسه على البوابة الرئيسيه للشيخ عامر الواقف امامه: تعودات زهوت .
نظر اليه الشيخ عامر فى دهشه، فهم منها الجندى انه لم يفهم كلامه، فقال بعربية مكسره: مثاك هويه..؟
ناولها اياه.. قلبها الجندى.. نظر الى عطوه ومن معه من الرجال ، نظر الجندى الآخر.. رطن عليه،نادى على عطوه ومن معه وأخذ يسألهم عن بطاقاتهم، لم يفهم منهم شيئا، قال الشيخ عامر للجندى: هويات الناس هذى مع الحاكم، واحنا اليوم كلنا مطلوبين هنا.
رفع الجندى السماعه.. رطن مع آخر فى الداخل،وقبل ان يضع الجندى السماعه نظر الى الرجال قائلا لهم وهو يشير بيده: بو..بو
وضع السماعه، رطن على زميله فدلف الى الداخل ، أشار الجندى الآخر على الشيخ عامر وبقية الرجال بإتباعه.
نظر الشيخ عامر إلى ساعته.. التاسع والنصف صباحا.
أشار الجندى عليهم بالتوقف على مقربه من المكتب.. نقر على الباب ثم دفعه خفيفا.. اطل عليه وجه الحاكم.. رطن عليه .. عاد الجندى وإقتاد الرجال الى غرفة كالقبر.
بعد فتره فوجأ الشيخ عامر وابن عمه عطوه بجندى آخر يأمرهما بإتباعه، أشار عليهما بالدخول، أغلق الجندى الباب وانصرف.
اصطدم الرجلان بوجه ممتلىء مائل الى السمرة ذى لحية كثيفه، يعبث بأوراق امامه على المكتب كمن يبحث عن شىء.. نظر الى الرجلين، وفى ابتسامة صفراء أشار عليهما بالجلوس، ثم علد وانهمك مع اوراقه.. اخذ عطوه ينظر الى

ابن عمه خلسه وهو يتمتم بكلمات غير مفهومه.. نظر اليـــه الشيخ عامر في صرامه وكأنه يأمره بالسكوت.
نظر اليهما الحاكم بإبتسامته الصفراء وكمـــن يعتــذر عــن انشغاله عنهم قائلا بعربيه ثقيله: اهلا وسهلا.. ضغط علـــى جرس بجانبه.. انشق الحائط.. ظهر ساعى طويل، نحيــف، أشقر، قصير الشعر، حليق الذقن، أشار اليه الحاكم بأصبعـــه قائلا بالعبريه: إشتايم كوفى..
نظر الى الرجلين قائلا من خلال ابتسامته الصفراء و بلهجـه عربيه مكسره:انا بعرف العرب بيخبوا الكهوه، مش كده شيخ عامر.؟
اومىء الشيخ عامر.برأسه قائلا فى صرامه: أيوه.. أيوه.
نظر الحاكم (اوفر) الى عطوه قائلا فى مرح مصطنع انــت كمان بخب الكهوه، وقبل ان يجيب عطوه فاجأه أوفر بقولـــه: شو إسمك.؟
اجابه عطوه فى جرأة وهو ينظر إليه بملىء عينيه: عطوه
الحاكم مبتسما: هو انت اللى كنت أوز تضـــرب الضـــابط، وقبل ان يجيب عطوه قال الشيخ عامرفى صرامـــه: ممكــن ياسعادة الحاكم اتقول لينا أنت طالبنا ليه.؟
إنشق الحائط.. ظهر الساعى.. وضع الصينيه أمام الرجليــن على طقطوقة صغيره وانصرف.
اشار الحاكم عليهما قائلا: أتفضل أشرب الكهوه.
الحاكم وقد تغير لونه وبدا اكثر صرامة: شوف شـــيخ آمــر إخنا بدنا نعمل مستعمره كبير ،وأضاف فى خبث وهو يميــل بصدره على المكتب: ألشان كل الناس بيشتغل، وكمن تذكــر شيئا اصدر آهة خفيفه.. رجع بكرسيه إلى الـــوراء قليـــلا.. سحب درجا، أخرج منه ورقه كالأستماره وضعها أمامه على

المكتب ، امسك بقلم، قال فى خبث للشيخ عامر الذى اسعفته معرفته بالقراءة والكتابه أصول الحديث ومعاملة الآخرين:ألشان تعرف شيخ آمر أنت وكل الناس أن دولة اسرائيل كويس ومش ممكن نخلى حد يزعل منا.. إخنا مش ناخد الأرض من غير مصارى (فلوس) ، لا..لا إخنا بندفع مصارى كتير، واضاف فى خبث:
انت شيخ آمر بتاع الكبيله، وكله بيسمع الكلام تبعك، ألشان كده أنت بتمضى هون وبتاخد مصارى زى ماانت آوز، وأشار الى مكان التوقيع على الاستماره، ثم اضاف وهو ينظر إلى عطوه بينما يدفع بأستماره تجاه الشيخ آمر الذى لم يحرك ساكنا:
وأنت كمان عطوه، إ مش بنخب مشاكل،وأخذت ابتسامته تتسع.
نظر الرجلان الى فى غل الى الحاكم الذى استرسل فى حديثه قائلا: ومش بس كده شيخ آمر كل واحد بجيبو أنت بتاخد مصارى ،وكمان عطوه ، وبعدين بيبقى معاكم مصارى كتير.. كتير، وبتعمل اللى انت آوز، ثم مد يده للشيخ عامر قائلا: اتفضل امضى هون، يالله..يالله ألشان مافيش وقت، وانت كمان بروخ البيت ..
نظر اليه الشيخ قائلا: امضى على أيه ياسعادة الحاكم..؟!
الحاكم يتظاهر بالاستغراب: أوه شيخ آمر على الورقه ، هون.. هون وأخذ يشير الى مكان التوقيع.
الشيخ عامر متغابيا: أمضى عليها ليه ياسعادة الحاكم؟؟!
الحاكم وقد بدأت عليه علامات الضيق: ألشان بتبيع الارض بتاعك ، واخنا بنديك مصارى

اراد عطوه ان يرد ولكن الشيخ همزه، ثم قال الشيخ للحـــاكم في جرأه وصرامه: احنا ياســـعادة الحـــاكم لابنبيـــع ارض ولاعايزين مصارى.
الحاكم متمالكا نفسهك يعنى ايه شيخ آمر؟!
الشيخ وهو يشير بيده فى عصبيه: يعنى مافيه واحـــد بيبيـــع ارضه فى القبيله كلها..
الحاكم غاضبا: شوف شيخ آمر انت لازم تمضـــــى هـــون، وكمان الناس اللى معاك.. مفهوم، وإلا بتروخ السجن فـــاهم وأخذ يضرب بيده فى عصبيه على المكتب .
الشيخ عامر وهو يتململ وقد بدت عليه علامـــات الرهبـــه: ياسعادة الحاكم احنا قدامك واللى عايز تعمله اعمله اما بيع ارضنا لا، وقبل ان يرد الحاكم اضاف الشيخ عامربقوله: احنا ياسعادة الحاكم عندنا الارض زى العرض، ةاللى بيفرط فى ارضه كأنه امفرط فى عرضه.
لم يفهم الحاكم كلام الشيخ ولكنه عرف انه يرفض البيـــع، .. ضغط على الجرس بقوه.. فتح الباب.. ظهر جنـــدى بزيـــه العسكرى.. رطن عليه الحاكم فى غضب: أيفو أناشيم ..؟
الجندى: بخيـــدر
بسيدر : (نعم)
الحاكم: تفى أوتام مهير
صمت ثقيل يسود المكتب.. ينظر الرجلان لبعضـــــهما فـــى إرتعاد.. يشعل الحاكم سيجارا فى غضب.. الباب يفتـــح .. يشير الجندى على الرجال بالدخول.. يقون فى صف واحـــد وقد اصفرت وجوههم، يختلس الشيخ عامر النظر اليهم، وهو يضغط على شفته السفلى بأسنانه، وكان قد وقف وابن عمـــه عطوه مع دخول الرجال .

نظر اليهم الحاكم فى غضب ، ثم نظر للشيخ عامر قـــائلا: قول لهم شيخ آمر ..!
الشيخ وقد شحب وجهه موجها حديثه للحاكم :
الناس قدامك ياسعادة الحاكم ، واللى عايز ايبيع ارضه ايبيـع ، وأنا مش وصى على حد، كل واحد حـر فى ارضه، ثـم نظر الشيخ الى الرجال الذى فهموا كل سىء بدون شرح .
فقال أحدهم: احنا ياسعادة الحاكم ماعندنا ارض للبيع..
هب الحاكم واقفا .. دفع الكرسى برجليه الى الخلف.و اندفـع صوب الشيخ عامر والشرر يتطاير من عينيه قائلا: شـوف شيخ عامر وحيات دينى بطخك هون، ووضع اصبعه بيـن عينى الشيخ الذى بدأ أكثر جرأة وصرامه.
إنتفض عطوه قائلا وهو يشوح بكلتا يديهفى غضب بلهجتـه البدويه: أيش هذا..هو بيع الارض غصب ولا أيه..؟!
نظر اليه الحاكم فى غل ، إستدار فى غضب.و ضغط علـى الجرس.. ظهر الجندى.. رطن عليه الحاكم فى غضب قائلا: تكاخ أوتام بخوتس.
يدخل الجندى.. يدفع الرجال للخارج.. يلتفت عطوه للشـيخ قائلا: الهويه..!
الحاكم فى غضب : إمشى خمار..ملخلاخ (مقرف)
.. يتناول سيجارا ويشعله فى غضــب...
ما إنت ملاحظه ياعايده إن احوال صابر اخوى متغيره
اليومين هذول..قالها حامد وهو مستلق على ظهره بجـانب زوجته فى الفراش ، وقد أرقه تبدل أحوال أخيه صابر فـى تلك الايام الماضيه القليله السابقه، فليس من عادته أن يجلس صامتا، يفضل الوحده ، شارد الذهن، حتى سلمى لم يعجبـها حال زوجها وكثيرا ماحاولت التودد والتقرب اليه فى محاولة

منها لمعرفة سر شروده لكنه كان دائما يفضل السكوت ، وإذا ألح عليه أحدا تركه بعصبيه وإنصرف يشغل نفسه فى أى شيىء.
بالك ليش ياحامد، وقبل أن تكمل عايده صمتت ثم قالت وكأنها تحدث نفسها: لا.. لا ماظن لا.. لا
التفت اليها حامد متسائلا: ما اتظنى أيش ياحرمه..؟
ادارت عايده رأسها قائلة: ولاشى .. ولاشى
قال حامد بحده: ايش اللى فى راسك ياعايده..؟
عايده متردده: والله ياخوى مافى راسى ولا حاجه، بس أنا بقول يعنى.. يمكن..
حامد مقاطعا: يمكن أيش ياعايده قولى وخلصينى..
عايده وهى تستدير وتنظر فى عينى زوجها اللتين بدتا أكثر سوادا على ضوء لمبة الجاز المعلقة فى أحد أعمدة البيت: يمكن زعلان هو وسلمى ياخوى، ثم اضافت فى خبث: وأنت عارف هما غاليين ع بعضهم قد أيه..!
حامد وقد ركز بصره على سقف البيت وكأنه يبحث بين أعواد جريد النخيل المتراصه عن سر شرود وعصبية أخيه صابر قائلا: اللى بتقوليه هذا ياعايده تفكير حريم،لا..لا اللى شاغل صابر أخوى حاجه غير كذى خالص، ايش هى الله أعلم..
قالت عايده وهى تشد اللحاف وتدير ظهرها: والله ياخوى مانا عارفه.. وبكره كل شى ايبان.
أخذ صابر يتأمل وجه طفله فى شرود.. ثم تنهد بحرقه مما شجع سلمى على القول: سلامتك يابواسماعين، ليش كل التنهيده هذى ياخوى، وأخذت تتودد اليه قائله فى حنو: بس

نو اتقولى أيش اللى شاغل بـــالك وامخليـــك ســـارح كـــذى علطول..؟
صابر وكأنه يتحاشى النظر اليها: يعنى ايش اللى شاغل بالى يعنى، مافيه غير هالدنيا اللى كلها تعب.
سلمى محاولة التخفيف عنه: ياخوى احمال التعب علـى الله، وفيه رب كريم، ثم اضافت :واحمد الله ماكلين، شـــاربين، وعايشين زينا زى الناس وماهو ناقصنا ولاحاجه، ثم أضافت مبتسمه: والبركه فيك يابواسماعين ربنـــا يعطيـــك العافيـــة وطولة العمر.
نظرت سلمى الى زوجها وأخذت تقول بمرح وهـــى تكـــاد تلتصق به: لا..لا يابواسماعين أنا قلبى بيقول لـــى ان فيـــه حاجه وانت امخبيها عنى، ثم أردفت قائلة بصوت محتبس:أنا حرمتك، واللى ضحت بالكثير عشانك، ليش مـــااتقولى ع اللى تاعبك وتاعبنى، وتاعبنا كلنا معك..؟
صابر وكمن أفاق: تاعبكوا كلكوا .. كيف يعنى ..؟
سلمى وهى تتململ وقد ســـعدت لدهشـــة زوجـــها، ربمـــا استطاعت اخراجه من هذه الحاله الغريبه التى المت به: أيوه ياخوى. والكل ملاحظ انك اليومين اللى فاتو ما انت طبيعـى وفيه حاجه شاغلتك..!
صابر وقد حز فى نفسه ما سمعه، وشعر بأن هناك شيئا مـــا يدفعه لأن يبوح لزوجته بما يقلق مضجعهن ويشغل باله ليـــل نهار، حتى يستريح ويريح الكل، ولكنه تردد واكتفى بـــالقول وهو ينظر الى زوجته فى حزن: الواحـــد يـــابنت الحـــلال مابيامن إل شر الدنيا، وقبل ان يكمل قاطعته زوجتـــه فـــى دهشه: ياخوى مااتقوللى واتريح قلبى .. ايش فيه..؟

صابر وقد احس بأنه أثقل على زوجته: مافيه حاجه صدقيني بس..
سلمى مقاطعة بلهفه: بس أيش ياخوى قوول الله ايخليك
صابر وهو ينظر إلى وجه طفله النائم : كل اللى فيـــه انـــى قلقان اشويه على ولدى اسماعين
سلمى فى دهشه: من ايش ياخوى..؟ ثم اضافت: ماهذا هـــو نايم وصلاة النبى عليه..!
صابر حزينا: لو صار لى حاجه يا أم اسماعين خلى بـــالك من ولدنا.. اقشعر بدن سلمى لسماع ذلك فقالت هلعه: والفال بعيد ، ايش اللى بتقوله هذا يارجال..؟
ندم صابر وتمنى أنه لم يقل شيئا لزوجته التى بـــدت عليـــها علامات القلق، ولابد أن يقص عليها مايشغل باله ، ليريحـــها ويريح الجميع، وأخذ يقص عليها، وهى تستمع فى ذهول..
لم يمضى اسبوع ، وبينما كانت العائلة بأسرها فىأحد ليـــالى الصيف مجتمعه يتسامرون فى ود ومحبة، واصبح صــــابر اكثر بشاشة بعد ان صارح زوجته بسره ،واحس ان حمـــلا ثقيلا أنزاح من على صدره .. لكنه انتقل إلى صدر زوجته..

الساعه تقترب من العاشره ليلا.. الفضاء صاف ، بسـببب هذه اللمسة السحريه التى يضفيها ،
القمر على ليل الصحراء، العائلة ملتفة حول موقد النار، وقـد أشاع حامد حالة من المرح بين الجميع بخفة دمه التى اشتهر بها ، أحست سلمى بأن قلبها يقبض.. لاتدرى ما السـببب ، احست برعشة غريبه تنتابها، تململت.. نظر اليـها صـابر فقال مداعبا:بدرى يم اسماعين ولا النوم كبس عليكى خلاص !..
سلمى فى حياء: ايوه ياخوى وبيكفى سهر.
تلفت صابر حوله يبحث عن حذائه قائلا فى مرح: هه يـالله امرنا الى الله .. تصبحوا على خير ياعرب.. أنـا مـااقدر أخالف أم اسماعين فى شى..
ارادت سلمى ان تفضى لزوجها بما تحس بـه.. تـرددت.. فهى ماصدقت انه خرج من الحاله التى المت به وفضلت الا تحرمه من مرحه.
لم يكد صابر يلقى بجسده على الفراش وإذ بهمهمه وصـوت وقع اقدام تقترب منه.. وقبل ان ينهض ليستطلع الامر وإذ به يصدم بمجموعة من الجنود وقد صوبوا بنادقهم فى وجهـه.. تقدم احدهم نحو صابر، أوقفه عنوه، شد يديه خلف ظـهره وكبلهما بالحديد، نظر صابر الى زوجته التى لم تسنطع حتى الاستغاثه وقد أشهر جندى أخر سلاحه في وجهـها، وكـاد يغمى عليها من هول المفاجأه.. سـحب الجنـود صـابر .. حاولت سلمى الصراخ لكن الجندى أمرها بالسكوت.

دفع الجنود بصابر امامهم حتى وصلـــوا لطريـــق فرعـــى وحيث كانت العربات بإنتظارهم..
هرعت سلمى تخبر أهل زوجها بما حدث وهى ترتعد وتبكى بحرقه.
دفع الجندى بصابر إ٠لى داخل العربه الجيب وإذ بصاحبـــه صقر فى وجهه مكبل بالحديد...
سارت بهما العربه وخلفها عربتـــان تحرســـانها.ز همـــس صابر الى صاحبه: أيش اخبار حسان..؟
صقر وهو يشد على شفته فى غيظ ويرمق صـــابر بنظـــرة فهمها صابر: مابدرى.. أسكت
مضى اسبوعان على اعتقال صابر وصاحبه صقر .. جـــاء حامد لزيارة اخيه.. سأل صابر أخيه عن اخبار حســـان.. صمت حامد .. ماذا يقول لهما ..؟ هل يزيد وجعهما..؟ أعاد عليه صقر السؤال: ايش اخبار حسان ياحامد..؟
تردد حامد.. قلق الرجلان.. صابر فـــى حـــدة: أيـــش فيـــه ياحامد..؟
حامد مترددا: والله ياجماعة ماأنا عارف أيش ودى أقول..!
صابر وقد ازداد قلقا: كيف يعنى..!
صقرفى حدة: اليهود مسكوه..؟
حامد: ياريت ع كذى وبس..!
صابر هلعا وغاضبا: ماأتقول أيش اللى حصل ياحامد
حامد حزينا: حسان.. اليهود قتلوه
صمت الرجلان.. لم يستطع أحدهما النطق من هول ماسمعا
قطع حامد صمتهما بقوله حزينا: ياالله هذا قدره.. حســـبى الله ع أولاد الحرام

صابر وقد أغرورقت عينيه بالدموع، بينما غارق صقر في صمته: كيف قتلوا حسان..؟
حامد وهو ينظر إلى أخيه وصاحبه في حزن: بعد ماقبضوا عليكوا بثلاث تيام كبسوا على حسان في الفجر، وربطوه بسلسله حديد وربطوه في ذيل الجيب وظلوا ايجروا فيه على الرمل وفوق الواح الصبر (التين الشوكى) ويلفوا بيه بين الاهالى وهو غرقان فى دمه لحد مالفظ آخر نفس ، ومافارق مكانه..وبعد كذى أخذناه وعملنا اللازم ودفناه.
لم تسع الدنيا حزن صابر ورفيقه على موت حسان، وأقسما بأن ينتقما له ولو آخر يوم فى عمرهما..
لكن القدر لم يمهلهما، حيث حكم على كل منهما بخمسة عشر عاما سجنا،لم يكمل صقر عامه الثانى حتى خر جثة هامده بعد اضرابه عن الطعام لفترة طويلة احتجاجا على المعاملة السيئه التى يلقاها على يد المحققين والسجانين.
اما صابر فقد اصبح هزيلا من شدة حزنه على صاحبيه، وفراقه لأهله وزوجته.. وقد تردت حالته بمرور الأيام حتى صارت قدماه لاتقويان على حمله.. فاضطروا لنقله للمستشفى الذى لم يمكث فيه اكثر من اسبوع واحد حتى فوجىء الاطباء به ذات صباح وقد فارق الحياه.
توقفت عربه الشرطة أمام ديوان الشيخ عامر ، ترجل منها ضابط برتبة رائد، خرج الشيخ وولده حامد يستطلعان الأمر.. تسحبت كل من سلمى وعايده تاركتان المكان وقد أخذتهما الدهشة لقدوم الشرطة فى عز الظهيره، تـوارت سلمى خلف كومة من الحطب ، تطل برأسها بين الحين والآخر لتطمئن نفسها التى توسوس لها بأن هناك أمرا ما، أخذت تدعو الله فى سرها بأن لايكون حدث لصابر مكروه.

الضابط فى هدوء مفتعل وبلهجة عربيه جيده: انـت الشـيخ عامر..؟
- أيوه أنا عامر
الضابط: اتفضل معايا
الشيخ: على وين..؟
الضابط وهو يدير ظهره متجها الى العربه: بس تعال وانـت تعرف كل حاجه، ثم اضاف: لو عايز تجيب ابنك هاته، نظر الشيخ الى الضابط نظرة فهمها الضابط فبادر قائلا: مـلتخفش ياشيخ عامر،
لكن احسن ييجى معاك..
أبوصابر حائرك لااله الا الله، اللهم ماجعله خير يارب، ثـم التفت الى ولده حامد قائلا: يالله جهز نفسك لما انشوف ايـش فيه..!
انطلقت بهم العربة.. التفت الضابط نحو الشيخ قـائلا فـى هدوء:
طبعا انت عارف ان صابر ابنك ..
قاطعه الشيخ : ماله.. صار له حاجه..؟
الضابط: استنى بس..قبل ساعتين اثنين صابر توفـى فـى سريره بالستشفى
فغر حامد فمه من هول ماسمع.. تماسك الشـيخ .. همـس وجاءت الكلمات من بين دموعه التـى مـلأت عينيـه: الله يرحمك يابنى
قتلوه الكلاب.. قالها حامد وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، لـم يتفوه الضابط .. ساد الصمت.. واصلت العربه سيرها.
قال الشيخ فى حزن وهو ينظر للضابط: ممكن اشترى قماش اكفن بيه ولدى..؟

هز الضابط رأسه بالموافقه، وأمام أحد محلات الأقمشه أمــر الضابط السائق بالتوقف.. نزل الشيخ وولده وأشتريا القماش، وواصلت العربة سيرها..
لملم رباطة جأشه وصلابته.. إلا أنـــه أحـــس بـــأن قدميــه لاتقويان على حمله حينما دلف للداخل من بــــاب المستشـــفى الرئيسى، استند على كتف ولده حامد الذى سقط قلبـــه فلــم يســـبق ان رأى والــــده هكـــــذا مــــــن قبــــــل.
يعج المستشفى بالجنود والأطباء والممرضين والممرضـــات كل فى عمله، تمنى حامد لو أن معه قنبلة يفجر بــــها هــذا المكان اللعين على من فيه.
اقتادوهما حيث غرفه صابر الذى يرقد فى سلام.. إحتضنـــه والده فى صمت كصمت دموعه التى انسابت وقـــد بللــت وجهه.. لم يقو صابر على تحمل المشهد ومن بين دموعــه ونحيبه المخنوق حاول تهدئة والده الذى تحامل على نفســـه وجلس على الكرسى بجانب فلذة كبده.. أخـــذ ينظــر إليــه ساهما، صامتا، خــــاف حــــامد ان يلحــق والـــده بأخيــه، فنظرغاضبا الـــى الطبيــب ومرافقيــه مـــن الممرضيـــن والممرضات الذين التفوا حول الميت ، نظر الى جثه أخيـه ، أزاح عنها الملاءه، وأخذ يلفه بالقمـــاش الأبيـض يســـاعده ممرض.. ووالده يرقب فى حسرة.. سحب الممرض الســرير المتحرك الى الخارج.. تحامل الشـــيخ علـــى كتـف ولـــده وتبعاهما .. آلاف مؤلفه من الرجـــال والشـــباب والصبيـــة يسيرون فى صمت خلف موكب الجنـــازة المـــهيب عـــبر الدروب المؤدية الى المقبرة.. لايقطع هــذا الصمــت غــير التشهد والتكبير والترحم على روح الفقيد.

وفى مقدمة المشيعين كان الشيخ راشد والد سلمى وأبناءه ربيع وخضر وسالم، فمنذ أن تزوجت سلمى صابر لم يطأ قدم أحد منهم بيتها مقاطعة لأبنتهم على فعلتها الشنعاء، لكن يجب آلا يفوتهم هذا الواجب هكذا قال الشيخ راشد لأولاده..
وارى المشيعون جثة الشهيد التراب بجانب رفاقه صقر وحسان.. عادوا والغضب يفجر رؤوسهم ، والحزن يملأ عيونهم حسرة وحزنا على هؤلاء الرجال.. غلت العروق غضبا .. ثارت حمية الشباب.. تعالت صيحات بعضهم باللعنة على هؤلاء الكلاب، وأقسم البعض بأن يثأر شر ثأر منهم .
غيوم حزن سوداء خيمت على الجميع .. ماكان يخفف حزن أبوصابر وعائلته نظرة الإحترام والتقدير التى يلقونها فى عيون الجميع، اما سلمى فقد كتمت حزنها وقهرها وصارت تواصل حياتها كالمعتاد فى صمت مخيف.. حاولوا التخفيف عنها بلافائده.. أوصى والد زوجها بألا يتركوها بمفردها على الإطلاق.
الليل ونيسها، تبث اليه همها من بين أنهار الدموع وسياط الحزن والحسرة وكلما نظرت الى وجه صغيرها زاد حزنها ونحيبها.
يجن جنونها كلما تذكرت أن عليها أن تغادربيت زوجها الى بيت اهلها بلارجعه ، فليس من حقها ان تمكث عند أهل زوجها بعد ان ترملت ، فأهلها اولى بها من الغرباء وهذه عادة الباديه.
هل تترك وحيدها.. فلذة كبدها..؟ هل سيرضى اهله ان يغادر معها..؟ هل سيرضى أهلها ان تعيش لولدها..؟ هل

تفارق ضناها..؟ وتجبرونها علـــى الــزواج مـــن آخـــر ..؟
هل..هل.. وملايين السئلة كادت تفجر رأسها الصغير.
أربعين يوما قضتها سلمى في جحيم افكارها ومخاوفها ممـــا سوف يكون غدا.
بعد الانتهاء من مراسم يوم الاربعين .. استأذن والد ســـلمى من ابوصابر فى الحديث الى ابنته، جـــاءت ســـلمى ملفعـــة بسوادها ..تعمد ابوصابر ان يتركـــهما بمفردهمـــا ليـــأخذان راحتهما فى الحديث .. جلست فى مواجهة والدهـــا صامتـــة كعادتها فى وقاروقد شحب وجهها.. مرت فترة من الصمـــت لايقطعها غير طقطقات سبحه ابوسلمى الذى اختلس النظـــر الى ابنته الذى ملأ الحزن عينيها فقال فـــى عطـــف ابـــوى لاحدود له: كيف حالك يابنتى..؟
سلمى وهى تنظر الى الارض منكسرة: الحمدلله علـــى كـــل حال.. شيء ما قوى يدفع الرجل للبكاء.. عبرات تخنقه.. لـم يشعر في يوم من الايام بأنه يريد ان يحتضن ابنته اكثر مـــن هذه اللحظه، فهو يحس بقلب الأب ماتعانيه وتكابده من ألآم.. وبصوت خافت مخنوق قال وهو يبتعد عنها بوجهـــه حتـــى لاتلحظ ابنته حزن عينيه: يابنتى هـــذى امانـــه واســـتردها خالقها، ومانقدر انغير شى الله كاتبه يابنتى، وفى محاولة منه لإخراجها من حالتها أضاف: والحمدلله يابنتى جوزك مـــات ميته امشرفه ورفع راس ابوه ورفع راسنا كلنا، ثم اضـــاف بأبتسامة مصطنعهك وهو فيه حد فينا طايل ميته زى ميتـــه.. وان شاالله هو الحين فى جنة النعيم، ربنا يجعلها من نصيبنـــا جميعا.أثلج صدر سلمى ماسمعته من أبيها، وماخفف عنـــها تلك النظرة الحانيه التى تراها فى عينـــى أبيـــهاالذى اردف قائلا: هذى يابنتى حال الدنيا والبركه فيكـــى وفـــى ولـــدك

اسماعين، وماكاد والدها ينطق اسم ولدهـــا حتـــى فـــاضت دموعها وعلا نحيبها ، فضمها والدها الى صدره واخذ يرتب على ظهرها مخففا عنها قائلابحزن: يابنتى مـــاهو كـــذى ، الدموع هذى بتعذبه فى قبره، ولازم تصبرى ، إحنـــا كلنـــا حزنانين عليه ماهو غير انتى .. بس هذا الله وهذى حكمتـــه أيش ودنا انسوى .. ونحمد الله على كل شى ، وحســـبى الله ونعم الوكيل فيهم (ويقصد اليهود) .

تمنت سلمى لو ذابت فى حضن ابيها فكـــم اشـــتاقت لـــهذا الحضن .. هذا الحنو.. هذا الدفء..!

اراد والدها ان ينسيها ماهى فيه فقال كمن تذكر شيئاً: ويـــن اسماعين انا ودى اشوفه.. يالله، يالله هاتى الولد الشقى هذا..

احست سلمى بقوة خفيه تنبعث فى جسدها النحيـــل، أحســـت بحالة من السعادة تغمرها بعد ان اطمأنت بحنو ابيها علـــى ولدها ، فهذا يعطيها الامل بأنه لن يحرمها منه.

أقبل اسماعين وقد أوصته ان يقبل يد جده ،وماكاد

يفعل ذلك حتى جذبه جده وأحتضنه واخذ يداعبـــه وســـلمى ترقب فى سعاده وقد علت شفتيها ابتسامة ضلت الطريق اليها منذ أن اعتقل زوجها قبل وفاته حتى يومها هذا.

عرفت جدك يااسماعين.. قالها ابوصابر الذى أقبل وقد ســـر لهذا المنظرفأضاف مبتسما: مين زيك ياولدى ليك جدين، ثـــم اردف قائلا موجها حديثه للصغير ومداعبا: لكن قوللى يـــلولد صبيت شاى إل جدك ولا لأ..؟

انكمش الصغير حياءا فى حضن جدة والد أمه حياءا وقـــال وهو يشير بأصبعه: لا، وحاول النهوض ليفعل ولكـــن ظـــل جده يحوطه بذراعيه قائلا: خلاص.. خلاص.. خليك انـــت وأمك اللى اتصب الشاى عنك، ومد ابو سلمى رقبته ينظـــر

الى الصغير يسأله مداعبا: ولا زهقت منى وعايز اتـووح إل جدك الثانى، فأومأ الصغير برأسه ، وقفز الى حضن جــــده ابوصابر.
قال ابو سلمى للصغير: يالله ياسماعين عشان تشرب حليبـك وتنام ، عشان بكره آخذك معى ..
انقبض قلب سلمى.. خافت مما كانت تفكر فيه دائما ويقلــق مضجعها..
احس ابوصابر بما يدور برأسها فبادر قائلا: روحى يـــابنتى نيمى ولدك فى افراشه.. فنهضت وصغيرها معلقا بيدها.
صمت ساد المكان.. كل يعرف مايدور برأس صاحبه،همــس ابوصابر لنفسه : معذور لو كنت مكانه ماسويت غير كذى.
ابوسلمى فى حيره: هل الوقت مناسب لإنـــهاء ذلــك، لكنــه مضطر .ز الناس تأكل وجهه، لماذا يترك ابنته عند النـاس ، وماجدوى ذلك بعد ان ترملت ..!
قرر ابوسلمى ان ينهى ذلك فبادر قائلا:
انت سيد العارفين ياخوى يابوصابر ان الوليه(المرأه) ماليها غير بيت ابوها بعد ماترملت ، وانا عارف انكوا مــاقصرتوا معها فى شى ، لكن انت مايخفاك شى هــذى عاداتنــا الــى اتربينا عليها، ولو ماسويت كذى الناس تاكل وجهى، وانـــت ماترضى على هذا..!
ابوصابر: سلامتك وجهك يابو ربيع وماأقدر اقول حاجه فــى قولك، لكن اسماعين فقاطعه أبوسلمى : اسماعين فى اعيونا يابوصابرن واسماعين ولدنا زى ماهو ولدكوا، وأضافقــائلا: وماظن انك ترضى الولد أيفارق أمه..؟
ابوصابر: لا..لا

أقبلت سلمى.. صمت الرجلان.. جلست .. بادرها ابوصـــابر في حنو قائلاً: شوفي يابنتي انا وابوكي كنا بنتكلم في سيرتك الحين
قُبض قلبها، تمالكت نفسها قائلة: خير ان شاالله ياعم
والدها: مافيه غير الخير ان شاالله يابنتي ، بس زى ما انـــت عارفه بيت ابوكي اولى بيكي .
لم تستطع سلمى الرد، ماذا يمكنها أن تقول فهي تعرف هـــذة الامور جيداً
صمتت سلمى برهة قبل ان تعلن قرارها الذى عزمت عليـــه مع نفسها مهما كلفها لامر، لكنها لاتريد ان تغضب والدهـا ، فما صدقت انه قد رضىّ عليها..ولكنها لاتستطيع مفارقــــة صغيرها ، وتعرف ان جده ابوصابر لن يفرط فيه وهو الذى سيتولى رعايته ولن يترك ذلك لغيره، ولن يدعها تأخذه معها ، فكيف يعيش ولد ابنه بعيداً عن أهله .
استجمعت سلمى قواها ن قالت وهى تنظر الى الارض حتــى لاتصطدم بنظرات ابيها: انا ماودى من الدنيا هـــذى غــير ولدى اسماعين.
قال والدها: يابنتي ماحد يقدر يحرمك من ولدك، ثم اضـــاف: بيت ابوكي مفتوح ليكي وال ولدك ، واحنا كلنا خدامينه، ثـــم اردف قائلاً: هذا ولد الغالى الله يرحمه.
قال ابوصابر: أسمح لى ياخوى ابكلمه
أبوسلمى: اتفضل
أبوصابر: الولد ولدنا ومايتربى بعيد عن اهله
أبوسلمى: واحنا اهله برضه ياخوى يأبوصابر.. ولا أيش..؟
أبوصابر: كيف عاد.. انتوا ليكوا فى اسماعين زى مالينـــا .. لكن اسمح لى احنا اولى بتربية ولدنا.

هبت سلمى فزعه لا .. لا انا مـــاترك ولـــدى، وإجهشـــت بالبكاء، ربت والدها على كتفها قائلاً: يـــابنتى هـــذى ارادة ربنا، فقاطعته سلمى فى توسل: لا.. يابوى ربنا ماقال انكـوا تحرمونى من ولدى وإتيتم من امه وأنا عايشه، ماهو امكفـــى ابوه راح..؟!

علا نحيب سلمى .. تقطع قلب الرجلين ، لكن لايعرفان مـاذا يفعلان غير ذلك، فهذه عاداتهم التى تربوا عليها..!

طلب ابوصابر من ابوسلمى ان يتركها ليوم او يومين حتـــى تهدأ ويجدوا حلاً لهذه المشـــكله، فوافـــق ابوســـلمى علـــى مضض.

وفى اليوم التالى لحق ابو صابر بأبو سلمى بعـــد ان هـــداه تفكيره ان يطلب يد سلمى من والها لولده حامد، فهذه الطريقة الوحيده التى تضمن له الأحتفـــاظ بـــالإثنين معـــاً، فوافـــق ابوسلمى على ذلك رأفة بحال ابنته ،ويعرف أيضاً ان ذلـك هو عرف الباديه، ولكن ابوصابر إشترط ان يتم ذلـــك بعـــد أنقضاء عام على وفاة صابر .

لم تصدق سلمى حين زف اليها خبر موافقة والدهـــا علـــى بقائها فى بيتها ومع ولدها.

قالت سلمى لأبوصابر: لكن كيف وافق ابوى على هذا ..؟

نظر اليها ابوصابر مبتسماً وقال: ربنا هدانى يابنتى وأقنعتـــه ، وليش وافق اقولك بعدين.

وحينما جاء والدها لزيارتها بعد عدة أيام ن أخـــذت ســـلمى تقبل يده بسعاده لم تخف عليه وهى تدعـــو لـــه بالصحـــه وطول العُمر، وقد سعد لسعادتها فبادرها قائلاً: أوعه يـــابنتى اتفكرى انك انت ولا اسماعين ولدك بتهونوا علينـــــا، لاوالله وربنا هو اللى يعلم وحده بمقدار معزتكوا، انتوا لحمنا ودمنـــا

، ثم استدار نحو ابوصابر قائلاً: ويابنتى ربنا ايجيب اللى فيه الخير.. أيو الله.
نظرت سلمى لوالدها نظرة فهمها فبادر قائلاً:
لاتستغربى يابنتى ولا حاجـــه، والله يلعــن الشــيطان، والله ايسامحنا ع اللى فات كله.. فابتسمت سلمى غير مصدقـــه.. هل تحلـــــــــــم..؟
أحس عطوه بثقل يهشم رأسه.. حــــاول ان يحركـــها ، لـــم يستطع، نظر الى اعلى ، اصطدم بوجه جندى مشهراً بندقيته ، نظر بطرف عينه يمنة ويسره لمح مجموعة مـــن الجنـــود خلف الركبتين اللتين تحاصران وجهه.. أفواه بنادق مصوبــة نحوه.ز لم يفهم شيئاً.. حاول ان يتململ.. جندى آخر يشـــــد الغطاء من فوقه.. يوقفه عنوه.. يكبل يديه بالحدبد من خلــف ظهره، وعطوه فى ذهول مما يحدث، ويردد: أيش فيه.. أيش فيه..؟ يدفعه الجندى امامه قائلاً: شيكت ، ويـــهم الآخريـــن خلفه.
الفجر يقترب.. تجذب تجذب غاليه الصغير من يده.. تـــهب مسرعة تستنجد بأبيها..
علامك ياغاليه..؟
يسأل والدها وهو يفرك عينيه.. عطوه يابوى خذوه اليهود .. ينهض الرجل فزعاً، متسائلاً فى دهشه: متى..؟!
غاليه وهى تبكى بحرقه: الحين يابوى
ربت والدها على كتفها قائلاً: لاتخافى.. لاتخافى.. ادخلـــى انتِ وأنا أتصرف.
آذان الفجر يمزق سكون الليل.. يشد حسين الشيخ عامر مـــن يده ويسحبه جانباً، يقول فى هلـــع: عطـــوه خـــذوه اليـــهود ياشيخ..!

الشيخ عامر فزعا: متى.. كيف..؟
حسين: من افراشه وماأعطوه حتى فرصه يلبس إهدومه.!
الشيخ مستغربا: ماتعرف خذوه ليش..؟
حسين: والله مانا عارف..!
قال الشيخ عامر : ساهله.. ساهله.. وربنا ايجيب اللى فيه الخير.
الشيخ فى طريقه للبيت يحدث نفسه: ابصر ليش خذوا عطوه.. يتنهدهامسا: ربنا يرحمنا برحمته.. الله يلعن اليوم اللى شفناهم فيه.. يواصل سيره.
يتململ الشيخ فى فراشه.. يبحلق فى الظلماء.. يهمس: بكره أجازتهم.. انقلب على جانبه الأيمن.. يهمس: غير استنى ليوم الأحد.
يمدالحاكم(اوفر) يده بإبتسامة مفتعله : اتفضل شيخ آمر ، وأشار عليه بالجلوس.
جلس الشيخ عامر..نظر الى الحاكم الذى تظاهر بالإنشغال، قال الشيخ فى جرأه: ممكن اتقوللى ياسعادة الحاكم انتوا قابضون على عطوه ولد عمى ليش..؟
الحاكم من بين دخان سيجاره: شوف شيخ آمر: علشان مافيش وقت انت لازم بنصح عطوه يقول لنا على المكان اللى مخبى فيه السلاح..!
الشيخ مندهشا: السلاح.. اسلاح ايش ياسعادة الحاكم، وهو عطوه ابيعرف يمسك السلاح حتى..!
الحاكم أوفر: كده مش كويس شيخ آمر.
الشيخ مندهشا: مش كويس كيف يعنى..؟!

الحاكم وهو ينظر الى الشيخ فى استهزاء: عطوه كده شـــيخ آمر مش يخرج من السجن، وقبل ان يتكلـــم الشـــيخ أردف الحاكم قائلا: وانتِ كمان شيخ آمر مش تنفع شيخ..
وماهى الا ايام حتى عين الحاكم العسكرى عوده الذى كـــان أكثر استعدادا للتعامل والتعاون معهم من الشيخ عامر.
دفع الجندى بعطوه الى داخل الغرفه الصغيرة العطنه ، فوقع على أحد المساجين .. اعتذر وهو يسب ويلعن.. اتخـــذ لـــه مكانا بينهم.. أخذ يتصفح وجوههم العابسة الحزينه.. توقـــف فجأة عند احدها.ياألله.. الوجه هذا ماهو غريب على.. أخـــذ يعصر ذاكرته.. أعاد النظر اليه.. تصـــادمت نظراتـــهما.. ابتسم الرجل فعرفه عطوه فهلل فرحا..حماد.. تعانقا بحـــواره قال عطوه وهو يحتضن الرجل بشده: حمـــاد ولـــد الشـــيخ صالح، مش معقول.. جلس الرجلان .. قال عطـــوه وهـــو يركن ظهره على الحائط بجانب حماد : ايش اللـــى جـــايبك ياخوى هنا ، أجاب حماد مبتسما:أيه.. موال طويل هذا
قال عطوه: قول ياخوى واحنا ايش اللى ورانا ..!
قال حماد قبل مأأقول لك أيش اللى جابنى فى المكان النجـــس هذا، ودى أعرفك ع الجماعه، فأشار حماد الى رجل نحيـــف وطويل مكوم فى أحد أركان الغرفه قائلا: اعليان، فمد عطوه يده مصافحا للرجل، ثم أشار حماد الى سجين آخر بديـــن ، متوسط القامه، ذى لحية متوسطة الطول ممدا فـــى وســـط الغرفه صامتا، قال حماد غسان فلسطينى ، فصافحه الرجل ، ثم اشار حماد لسجين آخر بجانبه قائلا: وهذا أخونا منصور، فقال الرجل مبتسما لعطوه وهو يمد يده مصافحا: اهلا وسهلا ، ثم أخرج سيجاره وعزم على عطوه بها، فتناولها عطـــوه وأشعلها.

قال حماد مبتسما وهو ينظر الى عطوه: اما حكايتك اخـوك(ويقصد نفسه) اللى انت عايز تعرفها، اعتدل فى جلسته،قـال: صلى بينا ع النبى
قال الجميع اللهم ماصلى عليه، وكانوا يعرفـون الحكايـه، أضاف حمادك والله ياخوى مسكونى وانا أمحمـل العربيـه أسمنت، ساله عطوه مندهشا: وأيش فيه يعنى..؟
ضحك حماد عاليا ثم همس: مسروق .
تململ حماد، واصل حديثه قائلا:كنت كـل اسـبوع بحمـل عربيه من المستعمره وابيعها على تاجر مخصـوص انـا متفق معاه.
عطوه مستغربا: وكيف إبتسرق الاسمنت من المستعمره.
حماد : كنت كل اسبوع يوم الجمعه فى الليل ، وانت عـارف ان اليهود اجازتهم يوم السبت
عطوه بإصغاء: أيوه.. أيوه
كنت أخش بالعربيه الساعه وحده فى الليل وسـلامه الغفـير بيكون امجهز الحموله، وبعدين بيقوم سلامه ويمسـح اثـر العربيه لحد الاسفلت، وطبعا يوم السبت أجازه عند اليـهود، بيخفى الاثر براحته.
عطوه بلهفه: وبعدين
تنهد حماد قائلاك وبعدين .. فى يوم اختلفت انـا وشـريكى صاحب العربيه، والله ياخوى مانا عارف كيـف الشـرطه عرفت ، وعملوا لينا كمين، وقبضوا علينا.
عطوه : انتوا الثلاثه..؟
حماد وقد بدت عليه علامات الدهشه: بس هما طلعوا، وانـا حكموا على بسنه سجن.
عطوه بإستغرابك لكن كيف طلعوا وانت ماطلعت..؟

حماد: الغفير انكر انه يعرفنا قدام الشرطه وقال لاعمرى شفتهم ولابعرفهم ، وبعد اسبوعين أفرجوا عنه أما صاحب العربيه مابعرف كيف طلع ياخوى.. ثم أضاف حماد كمن يتوعد: لكن الايام جايه كثير والكل يعرف صاحبه.
التفت حماد فجأه الى عطوه قائلا: وانت أيش اللى جابك ياخوى..؟
عطوه متنهدا: والله باخوى مانا عارف ,أخذ يقص عليه كيف تم القبض عليه...
فتح الباب فجأه وإذ بجندى طويل القامه ، يسد الباب ، ولغه عبريه آمره يقول: يالله مهير.. مهير
وفى ارض فناء السجن اصطف المساجين لتوزيع الخدمات عليهم ، وكان تنظيف حمامات السجن من نصيب عطوه الضذى فوجىء عند دخوله الحمامات وهو يحمل دلوا وصابونا سائلا بيده فوجىء بسعيد ابوشامه امامه.. تسمر عطوه فى مكانه متسائلا: أيش اللى جاب الراجل هذا إهنيأ..؟
ماقطع صمته صوت سعيد الذى أقبل معانقا:عطوه مش معقول..!
ردعطوه بفتوروبلامبالاه: أبوشامه
تعانق الرجلان فى شوق مصطنع ومازال فكر عطوه مشغولا : أيش اللى جاب الراجل هذا..؟
فهو يعرفه جيدا فكل نشاطه منحصرا فى التجاره، فهو يقوم بضمان مزارع الزيتون والبرتقال وأحيانا اللوز من اصحابها ويتولى هو قطفها وبيعها فى الأسواق .. لم يكن بدويا .. بلى فلسطينيا كما يدعى دائما.

دلقء عطوه الماء والصابون على ارضية الحمام .. جـــاءه صوت ابوشامه قائلا:أيش عملت فى الكرم؟
عطوه منشغل بتنظيف الارضيه: كرم.. كرم أيش؟
ابوشامه وهو يطل برأسه من الباب: كرم الخوخ بتــــاعك ، اللى مارضيت اتبيعنى إياه.
عطوه وقد اعتدل وبدا ساهما، حدق فى رغـــوة الصـــابون المنساب على ارضية الحمام ، جاءه صوت ابوشامه: ســكت ليش يابدوى..؟
تذكر عطوه مادار من خلاف بينه وبين ابوشامه حين جـــاءه لشراء كرم الخوخ.. وكيف غادر ابوشامه غاضبا على اثـــر إحتدام الخلاف بينهما.
تسمر عطوه فى مكانه ساهما: معقوله..!
التفت ابوشامهوإذ بعطوه فى وجهه ممسكا بـــالدلو فارغـــا ، ينظر عطوه الى الرجل وقد تطاير الشرر من عينيه قائلا فى هدوء يشوبه الغضب: هو انت..
تلعثم ابوشامه وبدت عليه علامـــات الخـــوف: لا..لا كيـــف ياراجل ..! ، انت صاحبى ومش انا اللى اعمل كده.. مـــش عيب اتقول الكلام هذا..!
احس عطوه بالكذب فى عينى الرجل .. شل عقلـــه.. شـــيع الدلو بعنف وغضب، اصطدم برأس ابوشامه الـــذى ســـقط مغشيا عليه.. وعطوه يسبه ويلعنه..
جاء الحارس مسرعا: مازى.. مازى
عطوه متسمرا فى مكانه ينظر الى الرجل الغارق فى دمائـــه فى غل.
سحب الحارس عطوه الى القائد الذى امر بوضـــع عطـــوه بزنزانة منفرده، بينما تم الافراج عن ابوشامه.

دأب عامر على زيارة ابن عمه عطوه شهريا، قال لعطـــوه بأن اليهود قاموا بردم مزرعته.والمزارع المجاوره لها، وبدأ اليهود فى اقامة مستعمره عليها.
سأل عطوه ابن عمه عامر فى ذهــول: والــترب.. القبــور راحت وين..؟
تنهد عامر قائلا: حسبى الله ونعم الوكيل عالكفره.. الظلمه.
سأل عطوه فى دهشه: أيش اللى صار يابوصابر..؟
قال ابوصابر: مستنكرا: تصور ان اولاد الكلب جونى ع البيت وخذونى من بين اعيالى، ومابعرف ودهـــم ويــن بيا..! لحد ماوصلنا المقبره، ولقيت الضابط بيقولى: شـــوف عامر انت عندك ثلاثه ايام انت بجمع العظم بتـــاع الميتيــن بتاعكوا وتنقلها أى مكان تانى تحبه غير المكان هذا ، علشان إخنا بدنا نبنى مستعمره كبير هون..!
عطوه ساهما: هه.. وبعدين
عامرناقما: وبعدين أيش.. والله انا وقفت استغفر ربى وأقـول اعوذ بالله من الشياطين ، أيش هذا ياراجل يبنوا فوق الميتين مستعمره..! الكلام هذا مايقوله غير كفره زى هذول ، لعنـــة الله عليهم..!
عطوه متلهفا: هه، قوللى ايش قلت انت ليهم..؟
عامر: ولاحاجه، قلت ليهم والله لنطبقت الســـما ع الارض مابلمس عظم واحد منهم، والله وبعدين خليتهم ومشيت.
عامر حزينا: تخيل لنهم بنوا فوقهم..!
عطوه مندهشا: فوق الميتين..؟! حسبى الله ونعم الوكيل فيهم فى اولاد الكلب هذول، الله ينتقم منـــهم بحــق جـــاه النبـــى المختار.

ص ٦٢

ناقص من

الأصل

المصدر/

غاليه غير مصدقه: عطوه من ياراجل..؟!
عطوه بخبث: ابومسعد ياغاليه
تهلل المرأه فرحاً، تدفع ولدها نحـــو ابيـــه، بينمـــا اطلقـــت زغروده شقت سكون الليل.
يحتضن الرجل ولده ويضمه الى قلبه بقوه، ينظر الى زوجته فى شوق.. يحتضنها فى حنان.
فى صباح اليوم التالى توافد المهنئون على ديـــوان الشـــيخ عامر الذى كان أكثرهم سعادة بخروج ابن عمه عطوه سالماً من السجن.
بقدر ماكانت سعادة عطوه بعودته الى بيتـــه وأهلـــه كـــانت تعاسته، فلابد ان يبحث عن مصدر رزق له، خاصة ان ملده مسعد بالمرحلة الاعداديه، وحمـــده التـــى اكتملـــت معـــالم انوثتها.. وكان أحد ابناء عمومتها بإنتظار الافراج عن ابيـــها لكى يطلب يدها منه.
هدى عطوه تفكيره بعد حيرة ان يعمل فى تجارة الفاكهـــه ، وما ان أتم عاماً حتى تيســـرت حالته، فزوج ابنتـــه لإبـــن عمها، وتزوج هو بأخرى، ولم تعش معه أكثر مـــن ثلاثـــة اعوام ، فطلقها وتزوج امرأة ثالثه بحثاً عن الولد ، الذى لـــم يرزق به الا فى سن الستين حيث تـــزوج رابعـــه فـــأنجبت ابراهيم ، وقبل ان تلد الآخر بعد عامين توفى عطـــوه ولـــم يكتب له ان يفعل ماكان يحلم به حتى آخر يوم فى عمـــره ، وكان يبحث عن الولد من أجل ذلك.
انقضى عام على وفاة صابر، حرص خلالها ابوصـــابر ان يقرب بين حامد وسلمى، ودأب على إمتداح اخلاقها وحسـبها ونسبها ن خاصة فى حضور حامد الذى لم يكن ذلك خافيـــاً عليه.. وقد كان يهابها دائماً، ربما لمسحة الوقار التى تزيـــن

وجهها، ولوفاؤها لزوجها وإخلاصها فى حزنها عليه، أكثر مما عهده بين باقى النساء فى القبيله.
وكان اكثر مايخاف منه ويفكر فيه .. هل سيملأ الفراغ الذى تركه أخيه بقلبها وحياتها.. هل ستخلص له مثل إخلاصها للاخيه.. هل ستقبل الزواج منه على ضُره، وكان هذا مايؤرق منامه منذ ان فكر فيها ، فهو يعرف طبع زوجته عايده فهى لن تقبل ان تشاركها امرأة اخرى فى زوجها حتى لو كانت سلمى التى تحبها كأختها ، وقد لاحظ حامد ان زوجته بدأت تبتعد عن سلمى شيئاً فشيئا منذ وفاة زوجها صابر ، وهو يعرف سبب ذلك.. فزوجته تعرف ان حامد سيتزوج من سلمى ان عاجلاً أو آجلاً على الاقل من اجل ابن اخيه اسماعيل، ومن عارف يمكن ربنا يكرمه ابولد من سلمى هكذا همست عايده وهى تقنع نفسها مراراً لذا اخذت تحدث نفسها قائلة: يابنت ياعايده هو جوزك مجوز .. مجوز ع الاقل سلمى انت بتعرفيها وبتعرفك ، احسن ماجيب لك وحده اتنغص عليكى عيشتك، ثم اردفت تحدث نفسها: وميـن عارف لو وقفت ال حامد فى جوازه من سلمى ولا اى وحده ثانيه يمكن ايطلقنى، وفزعت لهذا الخاطر، وسرعان ماصرفته عن مخيلتها قائلة: ارضى بنصيبك ياعايده وخليكى عاقله.. أهى عيشه وآخرها موت، وسلمى طيبه وبنت حلال ،وعمر العيبه ماتطلع منها.
احست عايده بالغيره تنهشها وهى تحدث نفسها: أى نعم يابنت ياعايده هى احلى منكى.. وبدأت الهواجس تجوب بعقلها، ولكن سرعان ماأشاحت بيدها وكأنها تطرد هذه الافكار الملعونة من رأسها لا.. لا .. سلمى عمرها ماتسوى كذى ، هى جربتْ كيف الوليه(المرأه) لما تتحرم من

راجلها، وأخذت تقنع نفسها لا..لا.. سلمى ماهى من النـــوع هذا من الحريم.
أخذت عايده تتقلب فى فراشها يُمنة ويسره تفكر فيما يجــوب براسها من هواجس.. لم تغفو.. ومع اول خيـــوط الصبــاح استيقظت على حركة زوجها وهو يتوضا لصـــلاة الفجــر، ومالن فرغ حتى توجه الى الديوان يشعل النار.
أخذت عايده تفرك عينيها وهى توقظ سلمى لكى تجهز بــراد الشاى ، بينما ذهبت هى لتحلب البقره.
اجتمع افراد العائله حول الموقد ، أخذت عايده تختلس النظـر تارة فى وجه زوجها وأخرى فى وجه الجالسة فى مواجهتــه (سلمى) ، وكم تحرقها تلك النظرة الغــير مقصــوده مــن زوجها الى سلمى ، تضع كوب الحليب بغيظ علـــى الارض .. تنهض وهى تزفر قائلة: هو مافيه غير انا فى البيت هــذا ولا أيه..؟ ولا يعنى انكتب على كل يوم انـــا اللـــى افطــر الحلال(الاغنام).
نهضت سلمى خلفها لكن عمها أبوصابر اشار عليها ان تكمل افطارها قائلاً: الدنيا ماطارت يابنتى افطرى وبعدين شـــوفى اللى عليكى..
انفض الجميع من حول الموقد كلٌ يعرف ماعليه .. فلابـد ان يلحق حامد بعمله مبكراً بمزرعة البرتقال ، فبإنتظاره عمـــل كثير ، فعليه ان يقص الاغصان اليابسة من الشجر، ويقـــوم بعمل حفر دائريه حول جذور الاشجار، وربما اعمال اخرى كلفه بها صاحب المزرعه الحاج حمدان هذا الرجل الطيـــب الذى اشفق على ظروف حامد والحقه ليعمل بمزرعته، وقــد استطاع حامد خلال مدة وجيزه ان يحوز على ثقـــة الحـــاج حمدان نظراً لإخلاصه له وتفانيه فى عمله وكل ميطلب منــه

سواء من صاحب المزرعه الذى قربه منــــه وكأنـــه ثـــالث اولاده، بل انه كثيراً ماأوصى زوجته ان تعامله كأولادهـــــا، بل ان محمد الذى يدرس بالمرحلة الثانويه إتخذه كأخ اكبر له وكثيراً مايستسرُ له فى اسر اسراره، اما احمد اصغـــر اولاد الحاج حمدان الذى يدرس بالمرحلة الاعداديه اســـعد اوقاتـــه تلك التى يقضيها مه حامد كل يوم فى المزرعـــــه عصـــراً' خاصة ان حامد قد علمه السواقه على الجرار، واصبح اولاد الحاج حمدان يساعدونه فى اعمال المزرعه ، وقد كان حامد سعيداً بكل ذلك، رغم مايلقاه من مشقة ، ولكن ذلـــك اهـــون عليه من العمل فى مزارع اليهود المنتشره فى كـــل مكـــان، وقد جزم على الا يفعل ذلك حتى لو مات جوعاً.
لحقت سلمى بعايده التى كانت جاثمه على ركبتيـــــها تولـــول وهى تهز التبن بالغربال، قالت سلمى:
اتركى ياعايده اللى فى ايدك وروحى كملى افطارك، نظـــرت عايده الى سلمى نظره غريبه لم تعهدها سلمى منها من قبل ، وقد احمرت عيناها قائله: مش افطرتى انت يختى .. خلاص حاولت سلمى ان تشد الغربال من يد عايده لكنــــها رفضـــت وهى تقول بغيظ:
ابعدى عنى ياسلمى وشوفى ليكى حاجة تانية اعمليها.
لم تكثر سلمى من الكلام وانصرفت مستغربه تسأل نفســـــها:
أبصر علام عايده اليوم..؟
أخذت سلمى تبحث عن جوال لكى تمــــلأه بالاعشـــاب مـــن مزارع الزيتون واللوز المجاوره لها لغداء الماشيه، وركـــب أبوصابر حماره وانصرف لاحد يعرف وجهته.
ألقت سلمى بالجوال من على رأسها وإذ بعايده تعجن للغـــداء ، ألقت سلمى عليها التحيه، ردت عايده باقتضاب.. مما دعـــا

سلمى لسؤالها : علامك ياعايده.. اليوم مانتى زى عــادتك.. فيه حاجه يختى..؟!
نظرت اليها عايده تلك النظرة الغريبه قائله: كيف يعنى مانى زى عادتى..؟! شايفتنى انجنيت ولا أيش..؟!
سلمى وكأنها تعتذر: لا.. أنا ماقصدت كذى يابنت الحــلال.. بس يعنى شايفتك مضايقه اليوم.. قولى يختــى أيــش اللــى امضايقك ، يمكن اقدر اساعدك..
عايده وهى تنظر بطرف عينها فى خبث: لا.. يختــى كــثر خيرك، والمساعد هو ربنا ، وأخذت تواصل العجن بحرقـــه وغيظ، بينما ادارت سلمى ظهرها وهى تمسك بأسفل ذقنـــها تسأل نفسها : مانا عارفه أيش احكاية عايده اليـــوم مـــاهى طبيعيه، ابصر فيه ايش..؟ وذهبت تشغل نفسها بجمع اعـواد الحطب اليابس لكى تطهو الطعام.
فرغت عايده من العجين، وأخذت سلمى تشعل النـــار فـــى كومة الحطب ، وتضع عليها الصاج.. اســـتدارت قليـــلا.. فردت قطعة من القماش وأخذت تشكل العجين الى مجموعـــة من الاقراص ثم تقوم بفرد كل منها الى رغيف رقيـــق ثـــم تفرده على الصاج لكى ينضج.
جلست عايده امام سلمى تدس اعواد الحطب تحــت الصـــاج تارة، وتارتنظر بغيظ الى وجه سلمى الذى توهج احمـــرارا كالجمر الذى اشتعل بقلبها ، فتكظم غيظها وتقلب الرغيـــف على الصاج فى حرقه.
فاجأت عايده سلمى قائلة: وانت ان شاالله ناويه اظلك لحـــد كذى ال متى..؟
نظرت اليها سلمى فى دهشه وهى تقـــول: أيــش قصـــدك ياعايده..؟

عايده وهى تتناول الرغيف من على الصاج وترصه فــوق الارغفه الاخرى على قطعة الخشب.. لا.. ولاشى
سلمى: قولى ياعايده أيش فى خاطرك..؟
عايده بخبث: طبعا يختى انت عارفه ان الوليه منـــا ماليـــها غير سمعتها ، وانت يختى لاتواخذينى فى كلامى وهى تدس بعض اعواد الحطب تحت الصاج، وانت صبيـــه وماشـــالله عليكى.. يعنى باقول ان ربنا بعث ابن الحـــلال .. قصـــدى يعنى .. ترددت صامته، اخذت تقلب الرغيف على الصـــاج، ثم نظرت الى سلمى وتقول: قصدى ان الوليه فينا يختى مـــن غيرراجل زى البيت من غير واسط.
سلمى وهى تطوى قطعة القماش بعد ان انتهت مـــن عمليـــة الخبيز بغيظ: انا ياعايده مابفكر فى الموضوع هذا ، وعنـــدى اسماعين ولدى بالرجال كلهم وبالدنيا كاها .
عايده بخبث يختى اسماعين هو البركه ماقلت شيء لكن احنا ولايا زى بعضنا والوليه ماتقدر تستغنى عن الراجـــل، ثـــم اردفت قائله: لاونك عجوز انقول يمكن .. لكنك لسه شـــابه وقاطعتها سلمى فى غضب: فضى هالسيره ياعايده ومـــاودى اسمعها منك ثانى .. فاهمه، ونهضت سلمى فى غيظ تبحـــث عن الباطيه لفت الخبز، وجاءت عايده بجرة اللبن لتضيفـــه على الخبز المفتوت ثم ملأت يدها سمنا أذابته علـــى وجـــه الخبز ، ثم تناولته وذهبت به الى الديوان ليأكل الرجال.
رغم محاولة سلمى الدؤب صرف ماسمعته من عايده اليـــوم عن مخيلتها الا انه ظل يشغل فكرها ، وفجأه توقفت وكمـــن تذكر شيئا وأخذت تحدث نفسها: والله يمكـــن عـــايده لا..لا وكما يصحو النائم، حامد..

قالتها غير مصدقه.. ولم تكن تعرف بأنها سترتبط بـــه منـــذ هذه اللحظه.

عاد حامد من عمله قبل آذان المغرب بقليل، بـــدل ملابســـه، تناول ابريق الفخار وأخذ يتوضأ استعدادا للصـــــلاه، بينمـــا اخذت زوجته عايده توقد النار وتضع عليها بـــراد الشـــاى، وذهبت تعد طعام العشاء لزوجها.

جاءت سلمى بإناء الحليب وناولته الى عايده ، نظرت اليـــها عايده فى خبث وقالت: ليش ماتودى الحليب انت ولا صرتى تتكسفى من حامد، قالت سلمى وهى تشتاط غضبا: شـــــوفى ياعايده احنا عشرة عمر ولاتخلينا نخسر بعضنا عشان انـــا فاهمتك اكويس، وانت من صباحية ربنا قاعده بتلفى وادورى ، مالتقولى عايزه أيش واتخلصينى من الوش هذا..!

عايده وهى تنظر بطرف عينها: يعنى مانتى عارفه انـــا ودى ايش..! آه من مكر الحريم..!

سلمى فى حرقه: انا الحين تـــأكدت ان فيـــه حاجـــه ولازم اعرفها ياعايده.

عايده وهى تحمل باطية الطعام وتهم بلإنصراف: مصـــيرك تعرفى كل شى ، ان كانك مانتى عارفه..

قال ابوصابر وهو يتناول كوب الحليب من يد ولده بعـــد ان فرغا من طعام العشاء: فيه موضوع ياولدى أريد اكلمك فيه.

حامد: خير يابوى

ابوصابر: خير ان شالله ياولدى ، ثم أضـــاف قـــائلا: احنـــا ياولدى عايزين نفرح ابخلفك.

قال حامدمندهشا مما يسمع ، لأن هذه المرة الاولـــى التـى يفاتحه والده فيها فى هذا الامر: يابوى هذا شى بيــد ربنــا وماهو بيدنا ولا بيد احد..!
قال والده مبتسما: أيوه ياولدى احنا عارفين الكــلام هــذا ، ومابنعترض على حكم الله،لكن ياولدى ربنــا اعطانــاعقل ، وحلل لينا اربعه..!
حامد مندهشا: قصدك يعنى أتجوز ..
قال ابوصابر جادا: ماهو عيب ولاحرام ، ثم اضــاف مــن عارف يمكن ربنا يعطيك منها الخلف، وقبل ان يرد حــامد اضاف والده: واحنا ياولدى ماودنا انروح بعيــد ولاحاجــه، وزينة الحريم عندنا
حامد مأخوذا: قصدك يعنى..
والده وهو يهز رأسهك ايوه سلمى ، وما عمرك اتجيب اللـى احسن منها ، ثم اضافك وانا من زمان ودى افــاتحك فــى الموضوع هذا ، ومأأنا شايف احسن من الوقت هذا علشــان نخلص من هالدوشه هذى .
حامد مستغربا: دوشة أيش يابوى
ابوصابر :ياولدى من يوم اربعين اخوك اله يرحمــه، كــان ابوسلمى وده ياخذ بنته لولا انى اتفقت معاه انى عايزها لــك ن واتفقنا ع الكلام هذا انه ايتم بعد ماينقضى عام على وفــاة اخوك الله يرحمه.
كان حامد يتمنى ذلك فى سريرته ، ولكن هل ترضى ســلمى ، وهذا ماتكفل به والده..
الوقت عصرا.. ابوصابر يجلس وحيدا فى الديوان.. تذكــر زوجته.. تنهد قائلا: الله يرحمك يافاطمه.. شعر بوحشــه.. أقبلت سلمى.. ابتسم قائلا:

مرحب.. مرحب.. بم اسماعين، أشار عليها فى ود بالجلوس جانبه.. جلست.. نظرت اليه مبتسمه وقالت مداعبه: شـايفتك يعنى اليوم قاعد ال وحدك ياعم..
ابتسم ابوصابر قائلا وهو يدفع ببكرج القهوه الى الجمر: انـا اليوم مانا عايز اشوف ولا واحد غير انتى يابنتى
سلمى مبتسمه : خير ان شاالله ياعم ن ثم اضافت وهى تغسل فناجين القهوه: لا ياعم الاجاويد ماعنهم غناه.
التفت اليها وقال مداعبا: وبنت الاجـاويد برضـه مـانقدر نستغنى عنها كمان
قالت وهى تنظر الى ابوصابر وقد احست ان هناك شيئا يقدم له: الله ايبارك فيك ياعم.. وايخليك لينا
ابوصابر : ايه يابنتى ياالله حسن الختام
سلمىمداعبه: لاتقول كذى ياعم ربنا أيطول عمرك وتفـرح ان شاالله بولاد اولادك
صمت ابوصابر قليلا .. ملأ لنفسه فنجان قهوة ، أخذ منـه رشفه.ز تنحنح.. نظر جادا الى سلمى وقال: شوفى يـابنتى يابركه
سلمى: الله ايبارك فيك ياعم
واصل ابوصابر قائلا: انا يابنتى شايف قعدتك كذى مـاهى زينه
سلمى فى دهشه: خير ياعم.ز أيش فى خاطرك
ابوصابر مداعبا: اللى فى خاطرى انك إتشوفى حالك
سلمى: كيف يعنى..؟
ابوصابر: يعنى.. وعشان ماطول عليكى فى الكلام..انا ودى آخذ رايك فى موضوع ومن زمان نفسى اكلمك فيـه بـس الوقت ماكان امناسب

سلمىساهمه: خير ياعم
ابصراحه يابنتى انا اتفقت انا وابوكى مـــن يـــوم اربعيـــن المرحوم رحمة الله عليه.. وطلبت يدك ال ولدى حامد
سلمى وكانت تتوقع ذلك دائماً، قالت فى حياء: حامد
ابوصابر: أيوه يابنتى ولولا كذى كان ابوكـــى أخـــذك مـــن زمان، ثم اضاف: وحامد يابنتى شاريكى وطيب وابن حلال، ثم اردف مداعباً ك واظن انك تعرفيه زيى وأكـــثر اشـــويه، وانت أيش رايك فى الكلام اللى سمعتيه..؟
نظرت سلمى الى الارض وقالت فى حياء: لكن ياعم..
قاطعها ابوصابر: لا لكن ولا حاجه، يابنتى كل شى امقـــدر ومكتوب ، والحمد لله ع اللى ايسويه الله، والحى يابنتى ابقـى من الميت
صمتت سلمى، جاءها صوت عمها قائلاً: هه.. ماقلتى أيـــش رايك..؟
اشاحت سلمى بصرها بعيداً وقد تجمعت صورة صابر بيـــن عينيها:الراى رايك ياعم
تهللت اسارير ابوصابر وقال: على خيرة الله يـــابنتى، ثـــم اردف قائلاً:
بكره الى ايعيش ان شالله بخلص كل شـــى مـــع ابوكـــى .. ويجعله جواز مبروك ان شالله يابنتى.
همت سلمى بالانصراف.. توقفت قائله: لكن يـــاعم ان ودى اكلم حامد فى حاجه قبل كل شى..
ابوصابر مبتسماً: وماله يابنتى ، هو انت وصابر غُرب عـن بعضكوا يعنى.. وانصرفت تحدث نفسها، وتداخلت الافكـــار برأسها.. تذكرت صابر.. ماذا ستقول عنها عـــايده زوجـــة حامد، هل ستتغير معاملتها لـــها، هـــل ســـتناصبها العـــداء

وتعاملها كضُره، هل ستكون سعيده مــع حــامد .. ولكنــها صرفت كل هذه الافكار مــاعدا ان تظــل بجــانب ولدهــا اسماعيل .
عاد حامد من عمله، وبعد ان تناول الجميع طعام العشاء، ولم يبق غير حامد، فاجأه واله قائلاً: مبروك ياحامد انا خلصــت كل حاجه مع سلمى ، وانشاالله بكره انهى كل حاجه مع ابوها صابر في ذهول: الله ايبارك فيك يابوى.. وأيش كــان راى سلمى
والده مستغرباً: بقولك وافقت، وبكره ننهى كل شــى، ان راد الكريم
وأطرق حامد ، فبرغم سعادته بهذا الخــبر الا انــه دهــش لسرعه موافقة سلمى فى زواجه منها ، فهو يعرف جيداً قــدر ماكانت تكنه من حب واخلاص لاخيه صابر .. هل نســيته بهذه السرعه لآ..لا غير معقول
قطع والده عليه تفكيره قائلاً: فىايش بتفكرياحامد ..؟
حامد ساهماً: لا..لا ولاشي يابوى
والده مبتسماً: لاتحمل هم شى ، كله على الله ياولدى، وانــا ابوك متكفل بكل شى
حامد: لايابوى انا مابفكر فى كذى
والده مندهشاً: أمال بتفكر فى ايش..؟ قوللى..!
مامد ساهما: الحقيقه يابوى بفكــر كيــف ســلمى وافقــت علطول..!
والده بتعقل: ياولدلى سلمى عاقله ، وعارفه ان كان اليوم ولا باكر مصيرها تجوز.. ثم التفت الى حامد وقال فى خبث:

تلقاها كانت مستنيه منك افتاحها فى الموضوع هذا بس انت مانت طالع لابوك ياخساره، وتركه وهو يضحك، وذهب لينام.. بينما ظل حامد غارقا فى افكاره..

منذ ان عادت العلاقات الى طبيعتها ، اصبح اهل سلمى لاينقطعون عن زيارتها بين حين وآخر خاصة اخاها سالم، الذى لفت نظر اخته سلمى بكثرة تردده عليها حتى فاجأته يوما متسائله: ولد ياسالم انت أيش احكايتك بالزبط..؟! ، ثم اردفت قائله: انا شايفه زياراتك كثرت اليومين هذول..!

سالم بخبث: ايش يختى ياسلمى انت ماودكيانى ازورك ولا أيه..؟!

سلمى مراوغة: يعنى كل جيايك هذى مشتاق لى ياخى..! ولا .. وأخذت تنظر اليه فى خبث

تململ سالم وقال فى تودد: شوفى يختى ياسلمى يابركه، نظرت اليه بطرف عينها وهى تمصمص شفتيها قائله: الله ايبارك فيك ياخوى..هه وبعدين

سالم وقد ادرك ان سلمى تعرف وكنونه: والله الحقيقه انا عايزك تخدمينى فى خدمه اصغيره خالص

سلمى ماكره: خير انشالله ياخوى

سالم فى حياءمصطنع: عايزك اتكلمى صباح

سلمى فى ابتسامه ماكره وهى تميل برأسها على اخيها: واقولها أيش ..

سالم وهو يدفعها بدلال: قوليلها انى مابنام الليل من يوم ماشفتها..

سلمى تصطنع الجديه: عيب ياولد أيش اللى بتقوله هذا..

سالم غير مبال: انا ماقلت شى غلط.. انا ودي أتجوزها على سنة الله ورسوله.. هه.. أيش قلتى..؟

سلمى فى ذهول من جرأة اخيها: ايجز وبرك يابْعيد.. انــــت لسه اصغير ع الكلام هذا..!
سالم وهو ينفخ صدره ويثبت يديه على ركبتيه وقد تقمـــص شخصيه الجل: ستاشر سنه واصغير..! يابنتى اللــــى زيــى اجوزوا من زمان وخلفوا كمان..!
سلمى بحزم: فضك من الكلام هذا ياولد
سلمى وقد تخلى عن مرحه: وحده بوحده
التفتت اليه سلمى قائله: قصدك أيش ياولد..؟
سالم فى خبث: قصدى انت ال حامد وصباح لى ..
فزجرته سلمى قائله: اسكت يتولد وبلاش كلام فاضى
سالم برجوله: هذا ماهو كلام فاضى .. هذا اللى وده ايكــون ،ثم اضاف: وصبلح ماهى احسن منك.. ! ، نظر اليــها ثــم قال فى خبث وجديه: وحده ابوحده..
تمنت سلمى انها لم تسمع شيئا مما دار بينها وبين اخيــــها ، فهى لم تصدق ان القطيعة انتهت بينها وبين اهلها ، وأخــذت تسأل نفسها: والله مانا عارفه أيش اللــــى وده يحصــل لــو مارضى ابوصابر ايجوز صباح لخوى سالم..؟
واخذت تتمتم : ياريتنى ماشفتك اليوم ياســــالم.. الله يقطــع البنات وسيرة البنات..
أخذت سلمى تحدث نفســـها وهــى ترتــق قميــص ولدهــا اسماعين: والله انا عارفه حظك ردى ياسلمى.. الولد هـــذا (وتقصد اخاها سالم) وده ايولعها نار.. والبلا كله ع راســك ياسلمى، واخذت تتمتم : انا عارفه راس الولد هذا ناشفه، ثـم استدارت وكأنها تحدث شـــخص آخــر: وصبـــاح حاطـــه مناخيرها فى السما.. على أيش مانا عارفه، ثم توقفت فجـــأه

تقول لنفسها: لكن لا.. والله مسعد ابوعطوه ماهو احسن مــن سالم اخوى .. ولا عشان ماهو متعلم يعنى..!
عاودت سلمى الرتق وهى تتمتم كأنها تحدث صبـــاح: والله مسعد ياصباح ماهو امفكر فيكى، واخـــذت تقــول وكأنــها تحدثها شامته: مسعد وده فلاحه، ماوده بدويه.. وده وحـــده متعلمه زيه بتلبس قميص ومنطلون.. ثم هبت منتفضه تنفض أصبعها الذى شكته بالإبره.. ,أخذت تنفخه ، وفجأه دخلـــت عليها صباح التى سألتها: علامك ابتنفضى إيـــدك..؟ أيــش فيه..؟ قالت ذلك وهى تجلس فى مواجهـــة ســلمى، قــالت سلمى وهى تبحث عن الابره: لا.. ولاحاجه.. بس الابـــره سكتنى
صباح بخبث: اللى خد عقلك..!
نظرت اليها سلمى وكأنها تعاتبها، فأستدركت صباح الموقـف قائله: سامحينى ياسلمى والله انا ماالقصد، وقاطعتــها ســلمى قائلهفى مرح: لكن قوليلى يابنت ياصباح: انت أيش اخبـــار الدنيا معكى..؟
صباح وقد ادهشها السؤال: أخبار الدنيا.. كيف يعنى، ايــش تقصدى..؟
سلمى وهى تطبق القميص نحنان وكأنها ترتب على ظـــهر ولدها: قصدى يعنى مافيه حد كذى ولا كذى..؟
صباح وهى تشيح بوجهها حياء: يوه.. ياسلمى أيش الكـــلام اللى بتقوليه هذا..
سلمى فى عجاله: فاضى.. والله ماهو كلام فاضى ولاحاجـه، وهذى هى سنة الحياه ونظرت الى عينى صبلح لـــترى رد فعلها قائله: وهو فيه وحده تكره الجواز..

تململت صباح، نظرت الى سلمى فى حياء ثم قالت: لا.. ولا وحده بتكره انها تجوز، بس بدرى ع الكلام هذا
سلمى مبتسمهك ولا بدرى ولاحاجه يختي، ثم اضافت وهى تتلفت حولها وكأنها تبحث عن شيىء : أيش قولك ياصباح فيه واحد طلب منى اتوسط له عندك.. يعنى عايز ايشوف أيش رايك فيه، وقبل ان ترد صباح التى اطرقت لحديث سلمى، اضافت سلمى: وان لقى له مكان فى قلبك ، مستعد ايخلص كل شى اليوم قبل بكره، ثم اردفت قائله فى خبث: اصله رايدك موت.. بس انت اللى مانتى ماخده بالك منه..
صباح فى لهفه يشوبها حياء: من هو يعنى..؟
سلمى:واحد ماهو غريب، بيعرفك وبتعرفيه، ومن يوم ماشافك طيرتى النوم من عينه ،واخذت تضحك.
صباح وقد تخلت عن خجلها: ماتقولى واتخلصينى ياشيخه عاد..ن مين هو هذا اللى انا شاغله باله للدرجه هذى..؟
سلمى وابتسامتها ملىء وجهها، بيتما ترتفع دقات قلب صباح التى كانت تظن طيلة الوقت انه مسعد ابوعطوه، ولكن جاء صوت سلمى يقول: سالم اخوى
صباح فى ذهول: سالم اخوكى.. ونظرت الى سلمى وكأنها تعاتبها ، وكانت ستعلن رفضها له صراحة، لكنها ترددت فى آخر لحظة حتى لاتغضب سلمى منها، وقد فهمت سلمى مايدور برأس صباح دون ان تنطق به مما دعاها للقول فى تعقل وحكمه: سالم شاريكى ياصباح، ومافيه اللى يتعيب..
وانا مابقول الكلام هذا عشان اخوى ، لكن هذى هى الحقيقه، واظن انك عارفه الكلام هذا من غير ماحد ايقولك، وهو مستنى ردك، وقبل ان تتكلم صباح ، اضافت سلمى: انا

ماودى اسمع منك رد الحين ، فكرى براحتك وبعدينْ قوليلــى أيش رايك..
وفكرت صباح ، ورفضت.. ممــــا أثــار غضــب ســلمى واخرجها عن حكمتها قائله: ايش عيب اخوى ..؟ هه.. قولى ، وقبل ان تجيب صباح، اضافت سلمى غاضبه: ولا انــــت فاهمه انى مانا عارفه انت رفضت اخوى ليه
قالت صباح وقد بدت عليها علامات الضيق: عارفــه أيــش ياسلمى..؟
سلمى ثائره: عارفه انك بتفكرى فى مسعد ابوعطوه.. لكـــن هذا بعيد عليكى، ثم اضافت: وهو مسعد احسن من اخـــوى سالم فى أيش يعنى، ولا عشان ماهو متعام يعنى..
صباح فى تأفف: بس ياسلمى ، وقفلى هالسيره، ثم اضـــافت فى ضيق: انا حره افكر فى اللى اريده.. ماحد له دعوه بى.. وتركتها وانصرفت غاضبه
أخبر سالم والدته والتى أخبرت زوجها بما دار من حديث بين سالم واخته ورغبته فى الزواج من صباح بنـــت ابوصابر، واخبرته بشان رفض صبـــاح لســالم .. أطـــرق ابوسلمى.. فكر فى الامر بتعقل، فكر فى سلمى الــــذى لـــن يستطيع ان يحرمها من ولدها خاصة ان الجميع عرفوا انـــها تزوجت حامد الاخ الاصغر للمرحوم، ماذا يفعل ،هل يجيىء بها..؟ ، ماذا سيقول عنه الناس اذا عرفوا انها كانت تعيـــش فىبيت اهل زوجها بعــد ترملــت ، دون ان تــتزوج مــن حامد..؟، هل يضع العقده فى المنشار ويقول لابوصـــابر ان ابنتك ليست افضل من ابنتى..؟، هل يرجع فى اتفاقـــه مـــع ابوصابر بشأن زواج سلمى من حامد..؟ هل..هل..، مـــاذا سيقول الناس عنه اذا عرفوا برفض ابوصابر تزويج ابنتـــه

لولد الشيخ راشد(ابوسلمى)..؟، وهذا ماجعله يوافق زوجتــه حينما قالت : بنت ابو صابر ماهى احسن مــن بنتنــا، وان كانوا عايزين سلمى ال حامد يعطوا صباح ال سالم ، وحــده ابوحده، ولا أيش رايك يابوربيع..؟
قال ابوسلمى: وهذا هو الكلام المزبوط، وانا لى كــلام مــع ابوصابر، ولما اعرف ايش رايه فى الموضوع هذا، ويمكــن الراجل يطلع احسن منا..
قالت ام سلمى: ياخوى ان مارضيوا ايجوزوا صباح ال سالم ولدنا يبقى سلمى ترجع ال بيت ابوهان وهذا ماأصر عليــه ابوسلمى فى حديثه مع ابوصابر الذى لم يجد امامه مفرا مــن الموافقه، حرصا منه على الا يحلرم اسماعيل من أمه، امــا صباح ابنته فهو كفيل بغقناعها اذا رفضت الزواج من سالم ، وسوف يجبرها على الزواج منه اذا اضطر الى ذلك، وهــو من امتى احنا بنشاور البنات فى المواضيع هــذى.. قالــها ابوصابر غاضبا عندما حاولت صباح رفض زواجــها مــن سالم، ثم اضاف ابوصابر ثائرا: انت تسمعى الكــلام اللــى بقولك عليه وبس .. وانا اعطيت كلمه للراجل واعطيته كمان قصلتك..هه، وخلصت معه كل حاجــه البــارح، وتركــها وانصرف غاضبا وهو يقول: والله عال ، بنات آخر زمن..
لم تفكر صباح كثيرا.. بكت كثيرا فى صمت، ثم استســلمت، فهى تعرف انها لن تستطيع ان تفعل شيئاً، كما انها تعــرف ان مسعد لايفكر فيها ، ولو كان غير ذلك لاختلف الامر.
أيش الفايده، وأخذت تقنع نفسها بقبول سالم قائلة: علامه سالم .. احسن من غيره ، ع الاقل ولد شيخ..
وقف الرجال فى صف واحد ، متلاصقى الاكتاف يتمــايلون يمنة ويسره، تقلدهم الحاشى (الراقصــــه) فــى ايماءاتــهم

وحركاتهم، تقدم اثنان من الرجال امام الصف، وقفا في مواجهة بعضهم البعض عند طرفي صف الرجال واخذ كل منهما يقول بيتا من الشعر حفظه عمن سبقوه او يرتجله في مثل هذه المناسبة أي السامر البدوي.
قسم الرجال انفسهم الى فئتين دون ان ينفصلوا عن بعضهم البعض ، واخذت كل فئه تردد مايقوله بداعها أو البداع كما يطلق عليه في الباديه.
اشتد وطيس المبارزه الشعريه ، او القول بين البداعين، أحس البداع الاخر بأن لاحيلة له في مبارزه خضر في القول، اراد ان ينهي ذلك قبل ان يعايره الجميع ، فما كان منه الا ان قال بيتا من الشعر يعاير فيه خضر بهروب اخته سلمى وزواجها من غريب ،ولم يفعلوا لها شيئا، فاشتاط خضر غضبا ،وكاد ان يفتك به لولا تدخل الرجال الذين فصلوا بينهما.
إنسل خضر منسحبا ، تبعه بعض من جماعته الذين أشاروا عليه بقطع الطريق على خصمه وهو عائدا من السامر.
ليل الصحراء موحش، لكنهم ألفوها .. فوجيء الرجل وهو يسلك أحد طرقاتها بمن يعترضه ن توقف هلعا، حاول الفرار، أدرك انه وقع في شرك، اعتذر لخضر ورفاقه لما صدر عنه من اساءه لهم في السامر، استل خضر ٠ (الشبريه)اي الخنجر وانقض على غريمه ، طعنه عدة طعنات متلاحقه خر الرجل على اثرها يلفظ آخر انفاسه.
اسرع خضر واخبر والده، هب الشيخ راشد هلعا وارسل اولاده فيطلب كبار العشيره.. اجتمع رجال وشباب العشيره في بيت الشيخ في اقل من ساعه، وقبل ان تلوح في الافق اول خيوط النهار، كانوا جميعهم في بيت الشيخ صالح

يطلبون حمايته من قبيلة الوشايحه اهل القتيل خوفاً مــن ان يأخذوا بثأرهم منهم.
امر الشيخ صالح رجاله ان يقفوا فى خدمة الشيخ راشد ومن معه ، بينما ارسل ابناءه فى طلب بعــض مشــايخ واعيــان القبائل الاخرى لكى يتوسطوا لدى اهل القتيل لتهدئة الامــور ولكى يتسنى لهم الحصول من اهل القتيل بمــا يســمى فــى الباديه بـ (العطوه) اى فترة هدنه بين الطرفين حتى تــهدأ النفوس ومن ثم يمكن التوصل لحل القضيه بالطرق السلميه من خلال اجراءات متعارف عليها ، وذلك دون اراقة نقطــة دم واحده.
الوقت عصراً، اجتمع الوسطاء من كبــار واعيــان القبــائل بديوان خلف والد القتيل ، شرب الضيوف قهوتــهم، فاجــأ الشيخ صالح الجمع بقوله: صلوا بينا ع النبى ياعرب
رد الجميع: عليه الصلاة والسلام
قال الشيخ صالح ياعرب انتوا عارفين ان كل شــى امقــدر ومكتوب ، والمكتوب ع الجبين لازم تراه العين .. ثم اخــذ يجول ببصره بين الحاضرين قائلاً: والله ياعرب ماواحد فــى الدنيا بيدور ع الشر، لكن الله يلعن الشيطان، ثــم اضــاف : واحنا لن سوينا اعقولنا بعقول الصغار ماظل فى النيا خــير وقولوا عليها السلام
الصمت ساد المكان، ينظر بعضهم للشيخ صــالح، وانشــغل البعض منهم باللهو فى سبحته ، ومنهم من شغل نفسه برســم خطوط ودوائر بلامعنى فى الارض وهو مصغ لقول الشــيخ صالح الذى واصل حديثه قائلاً: ياعرب ماودى اطول عليكوا فى الكلام ، وانتوا اهل العقل والفهم، واليوم احنا جــايينكوا من طرف الشيخ راشد اللى بياخذ ابخاطركوا فــى فقيدكــوا

وبيدعى من الله انه ايصبركوا وايعوضكوا عنه عوض خير،
وبيقول وهذى امانه فى ارقابنا انوصلها ليكـــوا : ان رقبتـــه
ليكوا فى اللى اتقولوه ان كان شرع ولا فرع، ثـــم اضـــاف
الشيخ صالح موجهاً حديثه لوالد القتيل:
احنا جايينكوا اليوم وكلنا عشم فى كرمكوا وطيب اصلكـــوا
انكوا تتكرموا ع الشيخ راشد وتعطوه عطوه، ثم اردف قـائلاً
بتعقل: عشان ياعرب الرحمن يسود والنفوس تهدا.
ابدى بعض الحاضرين رفضه اعطاء اهل القـــاتل عطـــوه،
فوقف خلف والد القتيل وقد تجهم وجهه قائلاً فى غضب:
ياضيوف جيتكم اليوم على عينى وراسى ، لكـــن المشـــكله
ماهى ساهله،ثم اضاف غاضباً وأخذ يشوح بيديه: هذا قتـــل
ياارجال، والقاتل يُقتل.
هب أحد الوسطاء واقفاً.. اتجه نحو خلف والد القتيل.. جثـــم
على ركبتيه امامه واخذ يقول بتعقـــل: لا.. لاتقـــول كـــذى
يارجل وخليك مؤمن ؛ واحنا كلنا متعشمين فيك خير، وكـــل
اللى ودك اياه من الشيخ راشد احنـــا كفيليـــن بـــه، لا.. لا
يابولافى يابركه، ولاتخلى الشيطان ياخوى ايخـــش بينكـــوا
،وانتوا اهل وحبايب، وماصار غير اللى كاتبه ربنا،
وهب آخر مسرعاً نحو والد القتيل ، لحق بهم الشيخ صـــالح
وجلسوا امام الرجل الذى اخذ ينظر اليهم فى حيره.
قال الشيخ صالح: ابجاهـــة الله عليـــك يـــابولافى يـــاخوى
لاتصغرنا فى نظر العُربان ولاتردنا مكسورين الخاطر، انـــك
تعطى اخوك الشيخ راشد العطوه
لم يجد والد القتيل مفراً امام الحاح وتوسل الرجال اليه، نظر
خلف الى جماعته قائلاً: انتوا أيش رايكوا ياعرب..؟

رد البعض منهم بإمتعاض: الراى رايك والشـــوره شـــورتك يابو لافى، واللى اتشوفه احنا اموافقين عليه
تململ خلف فى جلسته، جال ببصره بين الحضور ، تعـــالت دقات قلوب الوسطاء وهم فى انتظار قرار والد القتيل الـــذى فاجأهم بقوله:
وانا عشان خاطركوا ياالجاويد اعطيت الشيخ راشد عشر تيام (عشرة ايام) عطوه، اندفع الوسطاء نحوه وأخذوا يتوســلونه بإطالة فترة العطوه، وامام الحاح الرجال وضغطـــهم عليـــه اضطر ان يوصلها الى شهر.
انتهت فترة العطوه.. تدخل الوسطاء مرة اخرى، فتجـــددت شهراً آخر ، وشهراً ثالثاً.
لم يستطع الوسطاء من كبار القبائل واعيانها ارضـــاء والـــد القتيل ، او التوصل الى حل ينهى القضيه، فقد اصر علـــى احالة القضيه الى قاضى منقع الدم وهو المختص بالنظر فـــى قضايا القتل فى مجتمع الباديه فى سيناء.
فى بيت قاضى منقع الدم.. اتخذ الشيخ راشد ومن معه مـــن جماعته لهم مكاناً، واتخذ خلف والد القتيل ومن معه مكانـــهم فى الديوان .. جلس القاضى .. نظر الى الحضور، تململـــى ، اعتدل فى جلسته..تنحنح.. نظر الى الشيخ راشد والد القتيـــل وقال: وين كفيلك ياراشد، اشار الشيخ راشـــد علـــى احـــد الجالسين وقال: هذا هو كفيلى
هب الرجل واقفاً يقول: انا كفيل الوفا للشيخ راشد ياقاضينـــا، والتزم بالحق اللى اتقوله
يشير عليه القاضى بالجلوس ويلتفت الى خلف والد القتيـــل مكرراً عليه ماسبق ان قاله مع والد القاتل، فأشار الى احـــد الرجال قائلاً: وانا هذا كفيلى

القاضى موجهاً حديثه للطرفين قائلا:
أحد فيكوا معاه اشهود ، نهض الشيخ راشد واقفــــا.. اتجــه نحوالقاضى.. جثم على ركبتيه امامه وأخذ يقول:
ياقاضى ياقاضينا ياللى بالحق ترضينا ، جيتك اليوم قـــاصد الله وقاصدك تظهر الحق، وانا اليوم جايك ومعى اشهودى ان ولدى خضر ماكان يقصد يقتل لافى ولد خلف ، والشـــيطان دخل بينهم ،وتشابكوا ، وزلت يد ولدى وصار اللى صـــار، وربنا قدر وكتب.. وسلامتك ياقاضى الرحمن .. وعاد الشيخ راشد وجلس فى مكانه بين الجمع.
قال القاضى وهو يجول ببصره بين الحضور :
وين اشهود الشيخ راشد ..؟
تقدم ثلاثة شُبان الذين كانوا برفقة خضر حينما اعتدى علـــى القتيل..
اخذ القاضى يتفحص وجوه ثلاثتهم واخـــذ يقـــول لأحدهـــم ناصحاً إياه:
ياولدى ودك تحلف اليمين،يعنى تقسم بالله العلـــى العظيــم ثلاث مرات على صدق قولك، نظر الى رفاقـــه، ثـــم اعـــاد النظر الى الشاب الذى كان يحدثه واضاف: هـــذى يميـــن ، والقسم بالله ماهو ساهل ياولدى، وان ماقلت الحق ، يمينـــك اللى حلفته يوقف لك فى الدنيا قبل الآخره
اومأ الشاب برأسه وقال: والله ياقاضينا ماقول غـــير اللـــى شافته عينى ، وغير الصدق، والله يشهد على قولى.
يقول القاضى وهو ينظر الى رفاقه: وانتـــوا تحلفـــوا زيـــه، واتقولوا زى مايقول.. وأومأ الشُبان برؤسهم بالموافقه..
اقسم الشُبان الثلاثه بأن القتل ليس عمداً بـــل خطـــأ وغـــير مقصود..

تقدم خلف والد القتيل ، واخذ يشكك فى صحة اقوال الشُــبان امام القاضى قائلا:

ياقاضى الرحمن هذول الاولاد الثلاثه قرايب ولد الشيخ راشد ، ومااتجوز شهادتهم، ثم اضافك وانا منتظر اتجيب لى حقى، وسلامتك.. ثم رجع وجلس فى مكانه.

صمت القاضى.. جال ببصره بين الحضور..أخذ يتفحـــص وجوه الخصمين خلسه لكى يستخلص بخبرته فى مثل هـــذه الامور ان كتن يمكن التوفيق والتصـــالح بيــن الطرفيــن، ومحاولة ارضاء والد القتيل بأى شــكل ، وبشــتى الطــرق الوديه.

ساد الصمت المكان.. الكل فى انتظار قرار القاضى.. تنحنح القاضى وتململ ، ثم اعتدل فى جلسته وهو ساهماً يفكـــر.. نظر الى خلف والد القتيل وقال: يعلم الله ياارجال انى ماريد غير اظهار الحق والتوفيق بيتكوا، واحنا كانا نعرف ان الـــى حصل بين ولد خلف وولد رشد امقدر ومكتـــوب ن وكلنـــا ابنعرف ان اللى راح مابيرجع ، عشان كذى بنطلب ليكـــوا ولينا العوض والرحمه من الله، وعشان كذى كمـــان النـــاس توكل امرها للهن ومايخاصموا بعضهم ، حتى الله من فـــوق يرضى علينا ويكرمنا، .. نظر الى خلف ، ثـــم نظـــر الـــى الشيخ راشد، ثم قال وهو يجول ببصره بين الحضور:

وعشان ماطول عليكوا ، حُكمى فى هالقضيـــه ان الشـــيخ راشد يدفع ميتين (مائتى) الف اجنيه ديه ولـــد خلـــف، ثـــم اضاف: وسايق عليكوا الله ورسول الله انكوا اتخلصوا مـــن المشكله هذى عشان النفوس تهدا والناس ترجـــع زى الاول واحسن حبايب واخوان.

وقف بعض اعيان القبائل ممن حضروا اجراءات الحُكـم .. توجهوا نحو والد القتيل الجالس مطرقاً.. قال احدهم له: قـد أيش تنازلت من المبلغ اللى حكم به القاضى لله والنبى ، نظر خلف للرجال، ثم قال بلا تردد مية ألف
قال آخر: وقـد أيـش تنـازلت للاجـاويد(أى الرجـال) الحاضرين، وأخذ الرجل يشير بيده اليهم
قال خلف برجوله : بخمسين الف
ردد الجميع: كثر خيرك.. كثر خيرك
نهض خلف والد القتيل، نظر الى الجمع عامه وأخذ يقول: والمعوض هو الله.. وانا متنازل عن المبلغ كله لله ووعشـان الناس الحاضره، ومن اجل خاطر اعيون اخوى الشيخ راشد.
نهض الشيخ راشد ، تبعه الجميع الذين هللوا فرحاً، وأخـذوا يشيدون ويشهدون لخلف بالرجولة والشهامه، واخذ كل منهم يحضن ألاخرن ويحمد الله على توفيقه لهم بـالتوصل لحـل المشكله دون اراقة نقطة دم واحده..
وينصرف الجميع وكأن شيئاً لم يكـن.
كاد يغمى على سلمى حين زف اليها عمها ابوصابر بُشـرى زوال الغُمة بين اهلها وعشيرة الوشايحه.
ذهبت لتشارك اهلها فرحتهم.. مال عليها اخوها سالم وقـال بخبث: أيش اخبار الجماعه..؟
نظرت اليه سلمىبطرف عينها وقالت بمكر:وهـى تبتسـم: لاتستعجل وخليك ثقيل،ثم اضافت بمرح: بطلوع الروح.
قال سالم وقد تغير لونه: كيف يعنى..؟، ثم اضاف : ماوافقت ولا أيش..؟!
استدركت سلمى الموقف وقالت بمرح:

لأ..ماقصدى كذى،لكن انت عارف صباح كل اولاد العشيره بيتمنوها ، وعشان كذى هى شايفه نفسها اشويه، ثم اضـــافت هامسه تقدم النصح لهك الحمدلله الغثمه وانزاحت، ومابـــاقى عليك غير اتخلص وتاخذ عروســك عــاد، ولازم اتخلــص ابسرعه قبل مايوقف لك احد مـــن عيلتـــها، لأن موضـــوع جوازكوا هذا لسه ماحد يعرف عنه، وربنا يســتر وتاخذهـــا ونخلص من المشكله هذى، وربنا يُستر.
اباح سالم لوالده من مخاوفه من ان يتعرض له احــد افــراد عائلة صباح، او يقفون ضد هذه الزيجه، صمت والده قليلاً..
التفت الى ولده قائلاً: شوف ياسالم
سالم مصغياً: نعم يابوى
قال والده فى جديهك انت اتروح الليله وتتفق مع حامد علـــى ميعاد تاخذ عروسك فيه من غير ماحد يدرى، ثم اضافك انـــا عايز كل شى ايتم فى السر ، وقبل ماالناس تعـــرف اتكـــون داخل عليها، واضاف ساهماً:
ماودنا مشاكل مع الناس وكفايه اللى عمله اخوك خضر.
قال سالم بسعاده: البركه فيك يابوى ، انت لازم الاول تعطى خبر لابوصابر اما حامد امره سهل.
قال والدهك انا ان شالله اليوم بخلص كل حاجه مع ابوصـــابر ، ولايهمك من الوضوع هذا ، بس زى ماقلت لك لازم كـــل شى ايتم بسرعه ومن غير ماحد يدرى، ثم اضاف: وبـــالمره انجوز سلمى ال حامد ، ونخلص من وجع الراس.
قال سالم: على خيرة الله يابوى
اتفق الرجلان على كل شيىء.. المهر وخلافه، وقرآ الفاتحـــه ، وناول كل منهما قصلة ابنته للآخر.

قال ابوصابر: انت مايخفاك شى يابوربيع، وانـــت عــارف عاداتنا وقبل ان يكمل قاطعه ابوربيع قائلاً:
انا عارف كل شى من غير ماتقول ، وعن اذنك سالم وحامد ايحددوا الوقت اللى ايناسبهم، وايكون اقريب..
قال ابوصابر: ايوه ياخوى ع الاقل لمــا جمــاعتى يعرفــوا وايكون كل واحد فيهم عروســـه فــى بيتــه، ممكــن انلــم الموضوع، لكن لو طولنا أكيد لازم يعرفوان ولــو عرفــوا ساعتها والله مانا عارف أيش اللى وده يحصل..!
طمانه الشيخ راشد والد سالم ان الامر ستسير كما يريـــد ان شاء اللهن فقال ابوصابرك الله يجعلها مبروكه، ويجعل قدمها قدم الخير والسعاده عليكوا.. يارب
رد الشيخ راشد : الله ايبارك فيك ، وربنا ايوفق حامد وسلمى ، ويرزقهم بالخلف الصالح .. يارب
قال ابوصابر: يارب
أقام حامد غرفتين من الصاج لزوجته الجديدهن قالت ســلمى له قبل ان يدخل بها:
انا كنت عايزه أكلمك فى حاجه شاغله بالى من زمان ياحامد
قال: خير ان شالله
ترددت سلمى، حثها حامد على الكلام، ظن انها ستطلب منــه ان يطلق عايده، وتمنى ان يكون مخطئاً فـــى ظنـــه، فـــهذا صعب عليه، وأخذ يحدث نفسه: أيش ذنب عـــايده ، الخِلفــه ربنا اللى متكفل بيها ، وماحد يقدر ايغير ولا ايبدل فى حُكــم ربنا.
ساد الصمت بينهما كل يفكرفى امره.. بادرت سلمى تســـأل حامد فى تعقل : فى أيش بتفكر ..؟

حامد ساهما: منتظر اتكلميني عن الموضوع اللـــي شـــاغل
بالك من زمان، أضاف بمرحك : وامصمم أعرفه ياسلمى
قالت في حياء وتردد: صابر .. الله يرحمه
حامد مندهشاً ، وقد ادهشه مالذى جعلها تتذكـــره فـــى هـــذا
الوقت بالذات ..!
علامه المرحوم ياسلمي..؟
سلمى وقد ندمت ن وتمنت انها لم تفتح هذه السيره، وقـــالت
في تردد: كنت عايزه ياحامد.. بس انا خايفه..
حامد مقاطعا في حِده: ماتقولى واتريحيني عاد..!
قالت وهى تنظر الى الارض: دم اخوك ياحامد..
حامد هلعاً: دم أخوى..!!
أضاف والدهشة تملأ عينيه: عايزه اتقولى ايه ياسلمى..؟
سلمىوهى تنظر اليه وكأنها تتوسله ان يفهم مرادها:
قصدى يعنى ..قاطعها حامد بحِده وقد بدت عليـــه علامـــات
الضيق ، وقد احس لن كرامته كرجل لاتسمح له ان يســـمع
مثل هذا الكلام ، حتى لو كان ذلك أخاه.
قال في حدة : ماتقولى واتخلصينى علامه دم صابر..؟!
ارادت سلمى ان تخفف عليه ، وقد ادركت انها لـــم تتخـــير
الوقت المناسب للنقاش فى هذا الامر، فارادت ان تنهى ذلـــك
حتى لاتعكر صفو حامد فى ليلة دخلته عليها ، قالت فـــى ود:
انا ياخوى بقصد اليهود ، اولاد الكلب هذول اللى قتلوا اخوك
المرحوم واصحابه.. يعنى انخليهم يتهنوا بعملتهم الســـودى ،
ونقعد احنا نتفرج ..!
حامد حائراً ومتأففا: يعنى أيش..؟، ثم أضاف بحِده: يعنـــى
عايزتنى اشيل بندقيه، واروح اذبح فى اليهود..!

نظر اليها فى ضيق.. نظرت الى الارض وقد ادركت انه قد فاض به، ولكنها اصرت على ان تنهى ذلك، وتقـول مـافى نفسها، فبادرته قائله: البارح قتلوا اخوك واصحابه، وياعـالم بُكره يقتلوا مين..!
حامد بتأفف: انت شايفه ان هذا هـو وقـت الكـلام هـذا ياسلمى..؟!
أخذ حامد منذ تلك الليله يبتعد عنها شـيئاً فشـيئاً، سـاورته الظنون ان هناك من يشاركه فكر زوجته..بأنـها لـم تـزل تحبه، لم تتساهن وماقالته دليل على ذلك، اصبح شبح اخيـه حائلاً بينهما، سوراً عالياً لايقدر عللى تخطيه، ليقفز الى قلب سلمى.
قالت عايده وهى تنظر الى زوجها فى خبث، وقـد سـرها مالحظته من تباعد بين زوجها وضرتها سلمى: ياخوى انـا شايفه احوالك متغيره اليومين هذول، اقتربت منه.. لاطفتـه وأخذت تقول فى دلال: انا برضه حرمتـك (اى زوجتـك) وسرك ، ولا نسيت ياخوى، لم يرد حامد ..عاودت دلالـها وقالت: فضفض ياخوى فضفض.. وقول أيش اللى امعكـر مزاجك..؟
اراد ان يزيح الحمل من على كاهله، لكنه خاف ان تشـمت فيه.. توقف بصره على لمبة الجاز المعلقة علـى العـامود، انتقل ببصره الى سقف البيت ، من بين اعواد
جريد النخيل المتراصه بدقه ، خرج عليه طيف أخيه فـى لباسه الناصع البياض قائلاً له: وصيتـك سـلمى وولدهـا ياحامد.. إختفى.. هب حامد فزعاً وهو يقول:
اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمد رسول الله، التفتـت اليه زوجته وقالت هلعه: علامك ياحامد .. بعيد الشر.. لـم

يرد.. فرك عينيه.. هب واقفاً يبحث عـــن حذائـــه.. غـــادر مُسرعاً، وزوجته تنظر اليه وقد اخذتها الدهشه، اخذت تتمتم: علام الراجل هذا..صمتت.. امسكت بأسفل ذقنها قائله: هــذا اللى كنت خايفه منه، ماهو طايق اينام عنـــدك ياعـــايده..! ، صمتت.. نظرت الى مكانه بجانبها، قالت فى حســـره: هــذا اول الخير ياعايده، ومن عارف يمكـــن اتخليـــه ايطلقنـــى.. فزعت لهذا الهاجس.. حاولت طرده من مخيلتـــها.. اخـــذت تتقلب يمنه ويسره فى فراشها ، حاولت النوم ولم تستطع..!

قالت سلمى فى دهشه وقد فاجأها حامد: خير انشالله ياخوى

قال وقد بدت عليه علامات القلق: ودى افهم حاجـــه وحـــده يابنت الناس..

سلمى مندهشه: قول ، أيش فيه..؟

حامد مرتبكاً: انت اتجوزتينى ليش ياسلمى..؟!

سلمى وقد فاجأها سؤال حامد الذى يبدو على غير طبيعتـــه التى عرفته بها دائماً.

حامد وقد قطع عليها صمتها: هه.. يعنى مارديتى.. أشـــاح بوجهه وهويقول: هذا اللى كنت عامل إحسابه..

سلمى وكمن أفاقت مـــن غيبوبـــه: عـــامل إحســـاب ايـــش ياخوى..؟!

صابر فى هدوء يشوبه حِده: إنك مانسيتى صابر ، وقبـــل ان ترد، اضاف غاضباً: لمنك مانسيتى صابر اتجوزتينى ليـــه.. ؟ هه.. ردى..!

حاولت ان تهدىء من روعه.. نظرت اليه كأنـــها تعاتبـــه، وقالت فو تودد: ياراجل.. هو فيه أحد بيغير من ميـــت، ثـــم أضافت بتعقل: ان قلت لك انا نسيت صـــابر ابقـــى كذابـــه ياحامد، لأن مابينسى العِشره غير ابن الحـــرام ، الله يكفينـــا

شره، اضافت وهى تنظر اليه وكأنها تعاتبه على سوء ظنـــه بها: كيف انسى صابر وانا عندى اسماعين..!
واللى خلاه المرحوم أمانه فى رقبتى ورقبتك، ثم اضافت وقد اغرورقت عيناها بالدموع: لكن مش معنى كذى ياابن الحلال إنى مابعزك واخذت تبكى بحرقه وهى تتخيل نفســها تقــول ذلك للمرحوم .
ندم حامد على شكوكه، إحترم وفاءها لخيهن ادرك بأن هــذا القلب لايعرف الخِداع .. ربت على كتفها قائلاك معلش يـــم اسماعين انا كان عقلـــى وده غيشــت منـــى، وســامحينى، واضاف بتودد وهو يبتسم : انت عارفه انى رايدك وشاريكى ياسلمى، ثم نظر الى عينيها الناعســتين .. ابتســم .. قــال مبتسماً وهو يلكزها بدلال على كتفها : وانــا مــاريد احــد ايشاركنى فيك حتى لو كان اخوى.. الله يرحمه.. لم تـــرد.. وإكتفت بأن رمقته بنظره فهمها حامد جيداً.
خجل حامد من نفسه كيف تذكر سلمى اخاه هكذا وهو يحاول نسيانه والاستسلام لما حدث، وقد ظل ذلك يشغل فكره حتى كان يوم وبينما كان يقتطع اغصان الاحـــراش ليعــود بــها لماشيته وإذ بعربة جيب اسرائيليه تتوقف فجأه علـــى حافـــة الطريق .. نزل منها شاب وفتاه يتضاحكان بخلاعه واختفيا بين اشجار الاحراش.. استعاذ حامد بربــــه مـــن الشــيطان الرجيم، ومن هؤلاء الشياطين .. تذكر كلام سلمى.. اشتعلت الفكرة بذهنه.. همس قائلاً: جـــاتك الفرصـــه لحــد عنــدك ياحامد.. لم يتردد.. أحكم قبضته على بلطته.. تســلل بيــن الاشجار.. إقترب منهما ، لم يشعرا به.. اقترب.. صرخـــت الفتاه.. وقبل ان يستدير الشاب هوى حـــامد ببلطتـــه فشـــج رأسه.. توسلت الفتاه.. تحجر قلب حامد وهو يتذكـــر اخيـــه

صابر.. قبلت الفتاه قدميه وهى تبكى وتصرخ بحرقه.. لم يبال ، جذبها من شعرها .. جاءه طيف اخيه فى لباسه الابيض الناصع مبتسماً.. هوى ببلطته فعزل رأسها عن بقية جسدها.
قالت سلمى هلعه: علامك ياحامد..؟
قال حامد وهو يرتجف وهو يستعيد ماحدث ساهماً ، وغير مصدق: خلاص ياسلمى.. خلاص
سلمى مندهشه من حال زوجها: خلاص ايش ياخوى..؟
حامد مرتبكاً: قتلتهم ياسلمى.. خذت بثار أخوى، وأخذ يشير باصبعيه وهما يرتجفان واخذ يقول: إثنين ياسلمى .. إثنين.
سلمى وهى تضع يديها على رأسها قائلة فى هلع: قتلت مين ياحامد..؟
حامد وقد بدأ يهدأ قليلاً: اليهود ياسلمى اليهود.. ,اخذ يقص عليها ماحدث..
تنفست سلمى سلمى الصعداء.. همست : الحمد والشكر ليك يارب.. احست كأن حملاً أُزيح من على كاهلها .. نهضت مسرعه، لم يزل حامد يجلس ساهماً يستعيد صورة ماحدث..
تناولت سلمى كومة من الحطب فى سعاده ، وربطتها بحبل وخرجت تُخفى أثار الجمل منذ ان حاد عن الطريق حتى البيت .. اتجهت مُسرعة أخذت بعض الماعز واخذت تروح وتجيىء بهن حتى غارت آثار الجمل تماماً.
حينما عرف ابوصابر ماحدث رقد طريح الفراش حتى قتله خوفه ان يكون مصير ولده حامد كمصير أخيه..
أخذ حامد ينظر الى قبر والده تارة ، وتارة الى قبر أخيه.. أحس برغبه عارمة فى البكاء.. بكى حتى التهبت عيناه.. لأول مرة يشعر بالوحده.. بالخوف.. بالغُربه. تحامل على

نفسه.. أحس بأن قدميه لاتقويان على حِمله.. إرتمى علـــى حافة الكثيب الرملى.. شعر بالارهاق.. تمدد.. غلبه النـــوم.. رأى عربة الجيب الاسرائيليه مُقبلة عليه.. اقتربت منه حتـــى كادت تفعصه تحت عجلاتها.. انتفض فزعاً.. اخـــذ يتســـلق الكثيب مسرعاً.. هبط وتسلق آخر ، ولم يزل أزيز العربـــة يجلجل فى سمعه...

(تمـــــت بحمد اللـــــه)

إصدارات " نوارس " فرع ثقافة بورسعيد

— ebnsinai@hotmail.com —